مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 82 ، جمادى الآخرة 1415هـ / نوفمبر 1994م

كلمة صغيرة

يتباهى الغربيون بتقريرهم للحرية قيمة إنسانية في دساتيرهم وقوانينهم يواصلون ويفاصلون عليها ، ولفرنسا ادعاء كبير في هذا الباب ، غير أن واقعها اليوم لا يمت لذلك بصلة ، فالحرية في نهجهم هي الهجوم على الإسلام ودعاته وتشجيع مناوئي الإسلام حتى (تسليمه البنغالية) !

بل وأصبح الفكر الموضوعي المجرد تحت طائلة قانونهم ، فقد رفضت رسالة علمية تكذب دعوى مذابح اليهود ، وصودر كتاب (جارودي) في كشف عنصرية الصهيونية ومزق كثير من صفحاته وصودرت كتب إسلامية في معرض للكتاب عندهم .

أما انتهاك الحرية الشخصية فكان بقرار من وزير (التربية) لرفضه ارتداء الزي الإسلامي للفتيات المسلمات بدعوى أنه ظاهرة أصولية ، ولا نعرف أنهم رفضوا ارتداء زي الراهبات ولا الطاقية الصهيونية المعروفة ، وهي مظاهر أصولية ! .

الغريب أن يؤيد مسؤول مسلم رأي الوزير ! ! وإنها لمأساة أن يجتمع ضدك القريب والبعيد !

الافتتاحية

متى تستقل أمتنا تشريعياً ؟ !

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

كل الدول في شتى أنحاء العالم لها أنظمة وقوانين تدين لها ، وعليها تحافظ ، وتعادي وتوالي من أجلها .. لا ترضى أن تمس من قريب أو بعيد ووصل الأمر في الاعتزاز بها أن ربطوا بينها وبين سيادة الدولة ، واعتبروا أي مساس بهذه السيادة يعتبر » خيانة عظمى « .

وأمتنا الإسلامية عبر تاريخها الطويل تؤمن إيماناً كاملاً بأن دين الإسلام هو هويتها وشريعته هي دستور حياتها ، وقيمه وأخلاقه هي منهاج تعاملها فيما بينها ومع الآخرين ، وكان ذلك سبباً مباشراً في وحدة الأمة وقوتها ومهابتها وبعد سنوات وسنوات من البعد عن الإسلام الحق وشريعته الخالدة ، استولى الطورانيون على أطلال الخلافة العثمانية التي كانت تسمى آنذاك » الرجل المريض « بمؤامرة محبوكة وضحتها شروط » كرازون « التي نفذها العميل الماسوني » أتاتورك « والتي كان من أهم بنودها :

1- قطع صلة تركيا بالإسلام .

2- وضع دستور مدني علماني .

وكانت الثمرة المرة لتلك المؤامرة أن تداعى الأعداء المستعمرون على جل ديار الإسلام مستعمرين لها ، محاولين تنفيذ الشروط نفسها في كل بلد احتلوه وبعد سنوات من مقاومة المجاهدين لهم سلموا السلطات لنفر ممن صنعوهم على أعينهم ، فأسسوا الحكومات العلمانية التي قامت بعد ما سمي بـ » الاستقلال « ولا ندري أي

استقلال يزعمون والمستعمر مازال قائماً في النظم والقوانين السائدة ، ولا ندري أي استقلال يدعون وهم يعادون الإسلام ودعاته ويرفضون تطبيق الشريعة الإسلامية بحجج استعمارية ترفض الإسلام ديناً ودولة .. ؟ ! بل زادوا عليها معاداة الدعاة إلى الله ، وسن القوانين المضادة لشرعه ومنعهم قيام أي توجه إسلامي مهما كانت صفته، بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان ، مع عدم ممانعتهم من قيام أي تنظيم غير إسلامي حتى ولو كان شيوعياً أو بعثياً .

لقد شجعوا سياسات التغريب في الفكر والمجتمع ، ومحاولة صنع أجيال متمردة على الإسلام بالسياسات الإعلامية والتعليمية والسياحية .. وشنوا حملات تشويه ضد الإسلاميين ، ورموهم عن قوس واحدة ، واتهموهم ظلماً وعدواناً بالتطرف والإرهاب ، ورفضوا بكل عنجهية الحوار الموضوعي معهم فكانت عاقبة أمرهم خسراً .

وحتى تنطلي هذه اللعبة على الشعوب المغلوبة على أمرها ، شغلوها بهموم الحياة والبحث عن لقمة العيش ، وزعموا بكل تبجح أن هذه الصحوة إنما مرجعها فقر الشعوب وحاجتها ، فدعوا الدول الأجنبية لبذل المزيد من المعونات والتنازل عن ما ألحقته سياساتهم العقيمة من ديون للدول الأجنبية لكنها مازالت تعيش في فقر ومسغبة وسوء أحوال وعنف مضاد ، وما أصدق الحديث القدسي (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام : لماذا يحاربون الإسلام وفيه عزتهم ومنعتهم ؟ ولماذا يناصبون دعاته العداء وهم لا يريدون إلا أن تكون كلمة الله هي العليا ؟ ! لا شك أن هذا هو الدليل الجلي على الانحراف عن منهج الحق ويؤكد ذلك ما تضمنته أنظمتهم وقوانينهم من انتهاك للإسلام وتعاليمه ومحاربة لأوليائه ، ولا نجد تبريراً لذلك إلا ما يلي :

1- أن هؤلاء الحاكمين بأمرهم عاهدوا أسيادهم والشيطان على رفض شريعة الله حتى آخر لحظة من حياتهم .

2- الجهل المركب بالإسلام واعتباره مثل غيره من الأديان المحرفة ، ولسان حالهم أن الإسلام غير صالح للحكم لعدم مناسبته للعصر كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

والحقيقة أن هؤلاء الحكام إن لم يكونوا عملاء بأفعالهم تلك فماذا يكونون ؟ إذ أن الجهل لم يعد مسوغاً كافياً لوصمهم به لأن كثيراً من المجامع العلمية العالمية اعترفت بشريعة الإسلام وتميزها وشمولها وصلاحيتها ، وأصبح ذلك معروفاً ومتيسراً لكل باحث عن الحقيقة ، ويبدو أنه زيادة على الأسباب آنفة الذكر فإن حب السلطة والتمسك بها لما تؤديه من مصالح مادية ومعنوية له دوره أيضاً .

ولا ننسى أن ذلك بسبب تصورهم الخاطئ : بأن فتحهم المجال لدعاة الإسلام وطرحهم المنهج الإسلامي ، سيغري الشعوب بالموافقة على برامجهم وبالتالي إعطاؤهم التأييد دون غيرهم ، كما حصل لجبهة الإنقاذ الجزائرية .

ومازلنا نتساءل مع كل مخلص من أبناء هذه الأمة : إلى متى تُحرم الشعوب الإسلامية من خيارها الأصيل ؟ وحتى متى يُحال دون تحكيم الشريعة الإسلامية ؟ وإلى متى يُحال دون تبليغ رسالة الإسلام دون غيره .

إن السابر لحال الحكومات العربية التي لا تقيم لشريعة الإسلام وزنا ، يجد أنها غير شرعية بالمعنى الشرعي الصحيح لمضادتها لشرع الله ، وغير شرعية نظاماً لظلمها لشعوبها وسلبها خياراتها المعلنة ، ولمخالفتها حتى لدساتيرها التي تنص غالباً على أن الإسلام دين الدولة ، إذ أن ذلك صورة لا حقيقة لها .

إن الاستقلال حقاً أن تستقل بمبادئك ومنطلقاتك الأصيلة ، والفخر حقاً أن

تطبق شريعة الخالق جل وعلا ، لا أن تكون عالة على الأجانب ، والعزاء لأمتنا المغلوبة على أمرها في كثير من البلدان أنها وإن حيل بينها وبين ما تطالب به من تطبيق الشريعة ، فإن الظلم لا يدوم وإن دام مؤقتاً فإن عاقبة القائمين عليه وخيمة وسينالهم الجزاء الأوفى دنيا أو أخرى .

إننا ندعو الحاكمين في الدول الإسلامية إلى تطبيق شريعة الله إثباتاً لصحة إيمانهم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، وليساهموا في حل إشكاليات مجتمعاتهم ، لأن الشريعة الإسلامية مع ضبطها لأحوال العباد توجد الضمير الحي الذي يفقده القانون ، فقد ملت الشعوب جور ما تحكم به من القوانين المستوردة ، بل إن من المساجين من طالب بتحكيم شرع الله عليه وإخراجه ، فليس هناك ما يسوغ كل هذا التردد حيال تطبيق الشريعة الإسلامية .

إن دين الله قادم بإذن الله ولو وضعت في طريقه السدود والقيود ، وعلى الدعاة إلى الله أن يعملوا جاهدين لتبليغ رسالتهم على المنهج النبوي وبكل الوسائل المشروعة ، وأن لا يتعجلوا قطف الثمار ، وأن لا يتيحوا للأعداء فرصة للنيل منهم أو الحيلولة دون بلاغهم ، وصدق الله العظيم : ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ، وقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، ذلك كلام الله تعالى ، وعده ووعيده ، ومن أصدق من الله قيلا ؟!

مقال

وقفات مع جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيفف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فالرد على المخالفين سواءاً كانوا من المبتدعة أو الكافرين أو المنافقين أو غيرهم نوع من الجهاد في سبيل الله تعالى فهو من أفضل القربات وأعظم الطاعات، ففيه إظهار للسنة ، وتحذير من البدعة ، وقضاء على الفتنة ، واستبانة سبيل المجرمين .

والرد على المخالفين لا يكون عملاً صالحاً مقبولاً إلا إذا أريد به بيان الحق وإظهاره ، ورحمة الخلق وهدايتهم ، كما كان أهل السنة قديما وحديثاً : يعلمون الحق ويرحمون الخلق .

وليس الحديث عن علماء نجد تعصباً لإقليم .. فنعوذ بالله من دعاوى الجاهلية ونعرات القومية ، لكنه الحديث عن الأقربين ، ممن لهم مواقف رائعة مغمورة ، وأياد بيضاء منسية ، وجهاد ودعوة وصبر وتضحيةكغيرهم ، فمع أن علماء نجد كانوا منشغلين بالتدريس والفتيا والقضاء وغيرها إلا أنهم اجتهدوا في الرد على المخالفين أياً كانوا ، فصدعوا بالحق لا يخافون في الله لومة لائم ولم تمنعهم سطوة أحد من الخلق عن إبلاغ رسالات الله تعالى .

 الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداْ إلا الله وكفى بالله حسيبا [الأحزاب : 39] .

اجتهد علماء نجد في الرد على المخالفين وسطروا كتباً كثيرة ، ورسائل

متعددة في الرد على طوائف الكفر وأهل البدع وسائر المخالفين لدين الله تعالى ، ودوّنوا أجوبة شافية في إزالة اشكالات وكشف شبهات ، وحسبك أن تلقي نظرة على الجزء التاسع من كتاب » الدرر السنية في الأجوبة النجدية « وكتاب : » مختصرات الردود « وتبلغ صفحات هذا الجزء ثمان وأربعين وأرربعمائة صفحة من الحجم الكبيرمع أن هذا الجزء يقتصر على بعض الردود لا كلها ، وعلى مختصرات الردود دون مطولاتها لتعرف مدى ذلك .

ومن خلال متابعة واطلاع لجملة من هذه الردود ، أقف بعض الوقفات :

1- كثرة الردود وتعددها وشمولها :

ما أكثر الكتب والرسائل التي دونهاأولئك العلماء في الرد على المنحرفين ، وما أكثر القصائد التي نظمها العلماء في الجواب على المبتدعة وبقية المخالفين ، وقد تميز بعض علماء نجد بكثرة الردود وتعددها ، ومن ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت 1385ه) ، وابنه العلامة عبد اللطيف (ت 1393ه) ، والشيخ سليمان بن سحمان (ت 1349) والشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري (ت 1399) والشيخ حمود بن عبد الله التويجري (ت1413ه) رحمهم الله جميعاً .

ولقد كتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن ردّاً على داود بن جرجيس النقشبندي، وجملة من الردود على عثمان بن منصور ، و ردّاً على ابن حميد صاحب السحب الوابلة ، وردّاً على محمود الكشميري ، وغيرهم .

وأما الردود التي حررها العلامة عبد اللطيف فهي كثيرة ، منها : رد مطوّل وآخر مختصر على داود بن جرجيس ، وجملة من الردود علي عثمان بن منصور ، والبراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية ، ورد على الصحاف ، والبولاقي ، وابن عمير ..

وأما الردود التي كتبها الشيخ سليمان بن سحمان فهي كثيرة جداً ، منها : الأسنة الحداد في الردّ على علوي الحداد ، والصواعق المرسلة الشهابية الرد على محمد الكسيم السوري وكشف غياهب الظلام رداً على (مختار العظم) والضياء الشارق رد اًعلى (الزهاوي) الشاعر ، وله قصائد طويلة في ديوانه عقود الجواهر المنضدة الحسان في الرد على أئمة الضلال مثل (أحمد زيني دحلان) و (النبهاني) ونحوهم .

وحرر الشيخ عبد الرحمن الدوسري عدداً من المقالات والقصائد في هذا الباب، فكتب ردّاً على أحمد زكي رئيس تحرير مجلة العربي ونظم قصيدة في الرد على الشاعر القروي ، ورد اًعلى القوميين والاشتراكيين في مقالات متعددة نشرت في مجلة راية الإسلام التي كانت تصدر في الرياض ثم توقفت .

ودَوّن الشيخ حمود التويجري عدة ردود منها : إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة رداً على (أحمد الصديق الغماري) ، والرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي ، والانتصار على من أزرى بالمهاجرين والأنصار رداً على (عبد الله السعد) ، والسراج الوهاج لمحو اباطيل أحمد شلبي عن الإسراء والمعراج.

ولم يقتصر علماء نجد في ردودهم على طائفة معينة فحسب ، بل شملت ردودهم جميع الطوائف والمبتدعة ، فكتبوا في الرد على الملاحدة الزنادقة والنصارى ، والباطنية ، والمتصوفة والخرافيين ، وكذلك الرد على الرافضة الأشاعرة وغيرهم .

2- تنوع الردود حسب اختلاف الأحوال :

تنوعت ردود علماء نجد واختلفت حسب ما استجد من الانحرافات والمخالفات ، فغلب على رسائل أئمة الدعوة زمن الدولة السعودية الأولى الرد على

المخالفين في توحيد العبادة لكثرة المخالف آنذاك ، وأظهر مثال على ذلك ما نجده في مؤلفات ورسائل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

ولما انتشرت الدعوة السلفية في بقية أنحاء الجزيرة العربية وخارجها احتاج الأمر إلى زيادة بيان وتفصيل في مبحث الأسماء والصفات ، وذلك لغلبة الانحراف في هذا الباب في كثير من بلاد المسلمين ، كما نجده جلياً في رسائل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين (ت1282ه) والشيخ عبد الرحمن بن حسن وابنه العلامة عبد اللطيف .

وفي هذا الزمان استفحل حكم الطاغوت في بلاد المسلمين ، الذي تمثل في القوانين الوضعية ، فاهتم علماء نجد بالرد علي تلك القوانين ، ومن ذلك ما سطره العلامة محمد بن إبراهيم في رسالته » تحكيم القوانين « وفتاوية وأجوبته المتعددة في تقرير الحاكمية لله تعالى ، ونقد المؤسسات الوضعية والأنظمة الطاغوتية [1] ، وكتب الشيخ عبد الرحمن الدوسري كتاباً في ثلاثة أجزاء بعنوان » الحق أحق أن يتبع « في نقد القوانين الوضعية .

ولما ظهرت موجة الإلحاد والاستهزاء بالغيبيات ، وإنكار وجود الله تعالى ، كما هو عند الشيوعيين ، انبرى لهم علماء نجد ، فكتب الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت1376ه) رسالة بعنوان » الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين « ، وكتب رسالة أخرى بعنوان » انتصار الحق « في الموضوع نفسه .

وكتب الشيخ ابن سحمان جواباً عن أسئلة ألقاها بعض زنادقة عصره سنة 1332هـ ، حيث تتضمن هذه الأسئلة طعناً في الحكمة الإلهية في تشريع مناسك الحج ، وسمى جوابه » إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل « .

وعندما زاغ عبد الله بن علي القصيمي ، تصدى له علماء نجد بالرد فألف الشيخ السعدي رسالة بعنوان » تنزيه الدين وحملته عما افتراه القصيمي في أغلاله « وألف الشيخ إبراهيم السويح (ت1369ه) كتاباً بعنوان » بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال « ، وصنف الشيخ عبد الله بن يابس (ت1389ه) كتاباً بعنوان » الرد القويم علي ملحد القصيم « .

3- لم تكن هذه الردود ترفاً أو فضولاً أو كلاماً بارداً :

لقد كان الباعث على تدوين تلك الردود هو الغيرة على دين الله تعالى ، والذب عن شعائر الله والغضب لحرمات الله عز وجل ، فهذه الجهود في الرد على المخالفين من مقتضيات الولاء والبراء ، ومن لوازم الحب في الله والبغض في الله ، الذي يعد أوثق عرى الإيمان كما أخبر الصادق المصدوق ، ومن ثم فإن أحدهم يرد على المخالف أياً كان ، سواءً أكان حاكماً أو محكوماً ، قريباً أو بعيداً ، مع مراعاتهم لأحوال الناس ومنازلهم ، ومدى قربهم أو بعدهم عن الحق ، فعلى سبيل المثال نجد الشيخ حمد بن عتيق (ت1301ه) يرد على اعتراضات أحد الحكام في زمانه ، كما رد على أ خطاء في تفسير فتح البيان للشيخ محمد صديق حسن رحمه الله ، وكان الشيخ حمد في غاية الصلابة والشدة مع ذاك الحاكم ، بينما كانت رسالته إلى الشيخ محمد صديق حسن في غاية اللطف واللين فمع ما وقع فيه الشيخ محمد صديق من أخطاء وهنات في تفسيره ، ومع ما اشتهر عن ابن عتيق من الغيرة الإيمانية والقوة في دين الله تعالى ، إلا أننا نجد الشيخ ابن عتيق يلتمس لمحمد صديق المعاذير ، ويحسن الظن به ، لما كان عليه محمد صديق من عموم الاتباع لمذهب السلف الصالح .

لقد صدع الشيخ بكلمة الحق أمام حكام زمانه ، فلم يداهن أحداً منهم بل رد عليهم دون خوف فقال في إحدى رسائلة مخاطباً أحدهم : » وأما ما ذكرت من

التخويفات فجوابه : ﴿ إني توكلت على الله ربي و ربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾ ونصدع بالحق إن شاء الله ، ولا قوة إلا به، ولا يمنعنا من ذلك تخويف أحد [2] .

ولا غرابة أن يقوم الشيخ هذا المقام الرفيع ، فلقد كان من المدافعين عن هذا الدين ، والغيرة على المسلمين كانت شغله الشاغل ، وهمه الوحيد ، حتى إنه كتب جواباً لمن عزاه في وفاة ابنيه قائلاً :

» ولكن والله ما بلغت مصيبتي بالابنين معشار ما بلغ بي من المصيبة التي حلت بكثير من الإخوان .. بينما الرجل يدعو إلى التوحيد ويحذر من أهـل الشرك إذا هو منقلب على عقبيه « [3]

4- الانتصار لإخوانهم العلماء :

فإذا رد أحد هؤلاء الأعلام علي بدعة أو مخالفة ، فلا عجب أن يرد المخالف على هذا العالم ، ومن ثم قام علماء نجد بالذب عن إخوانهم وحماية أعراضهم ، وتقرير صحة ردودهم وتأكيدها .

ومن ذلك أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين كتب رسالة في تخطئة البوصيري في بردته ، فقام أحدهم بالذب عن تلك البردة والرد علي المعتقد الصحيح، فانبرى الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في الدفاع عن أبي بطين وتقرير صواب رسالته .

ودافع الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن الشيخ حمد بن عتيق ، عندما كتب الشيخ حمد بن عتيق رسالة في التحذير من موالاة الكفار ، فشنع بعض الشامتين بالشيخ حمد ، واستغلوا بعض الهنات في عبارات الشيخ حمد ، فبادر الشيخ عبد اللطيف بالدفاع عنه فكان مما قاله : » فيجب حماية عرض من قام لله وسعى في نصر دينه الذي شرعه ، وترك الالتفات إلى زلاته والاعتراض علي عباراته ، فالأمر سهل في جنب تلك الحسنات » وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم « .

فليصنع الركب ما شاؤا لأنفسهم   هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

ولما قال المتوكل لابن الزيات : يا ابن الفاعلة وقذف أمه ، قال أحمد : أرجوا الله أن يغفر له ، نظراً إلى حسن قصده في نصر السنة وقمع البدعة « [4]

5- لا تنفك هذه الردود عن جوانب عملية :

ومواقف ظاهرة ، فليست مجرد ردود نظرية علمية فحسب ، بل اقتضت موجبها من الهجر ، أو القتل ، أو القتال ونحو ذلك .

ويقول الشيخ عبد الله أبو بطين عن أحد المنتسبين للعلم المردود عليهم : وابن عجلان أقل الأحوال هجره ، وأما النصيحة فلا تفيدفي مثله « [5]

وأفتى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم بجواز قتل رافضي تطاول على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [6] .

ومن المواقف العلمية في هذا الصدد ، ما فعله المحسن : مقبل بن عبد العزيز الذكير حيث أنشأ نادياً في البحرين لتحرير المقالات وإعداد الردود على النصارى الذين انتشروا في أطراف الجزيرة العربية ، وقد تولى الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع (ت1385هـ) رئاسة النادي ، وقام به خير قيام [7] .

6- سلك بعض علماء نجد أسلوب المناظرة مع المخالفين :

عندما دعت الحاجة إلى مثل تلك المناظرات ، ومن ذلك ما وقع في المناظرة بين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين وبين علماء مكة المكرمة سنة 1185 هـ ، وكانت المناظرة في مسائل توحيد العبادة ، وقد أقنعهم الشيخ الحصيني بالصواب واعترفوا بأن هذا هو دين الله تعالى [8] .

كما وقعت مناظرة بين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر (ت1225ه) وبين علماء مكة سنة 1211هـ ، وقد أذعن علماء مكة لمقالته ، وطلبوا من الشيخ ابن معمر تأصيل براهينه ، وتسجيل ما ناظرهم به ، فكتب في ذلك رسالة مفيدة [9] .

7- كان الرد على المخالف يأخذ مسلكاً دعوياً :

يراد به دعوة المخالف إلى اتباع الحق والدليل ، مع رحمته والإحسان إليه .

ومن ذلك قصة الشيخ أحمد بن عيسى (1319ه) مع التاجر التلمساني كما حكاها الشيخ محمد نصيف قائلاً :

« كان الشيخ أحمد بن عيسى يشترى الأقمشة من جدة من عبد القادر التلمساني أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهباً ، فيدفع له منها أربعمائة ، ويقسط عليه الباقي ، وآخر قسط يحل ويستلمه التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام، ثم يبتدئان من أول العام بعقد جديد ، ودام التعامل بينهما زمناً طويلا وكان الشيخ أحمد بن عيسى يأتي بالأقساط في موعدها المحدد لا يتخلف عن قسط ولا يماطل في أداء حقه ، فقال له التلمساني : إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك يا وهابي فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد مبالغ فيه من خصومكم السياسيين ، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات ، فقال : إنهم يقولون إنكم لا تصلون على النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا تحبونه فأجابه الشيخ أحمد بقوله : سبحانك هذا بهتان عظيم .. إن عقيدتنا ومذهبنا أن من لم يصل على النبي -صلى الله عليه وسلم- في التشهد الأخير فصلاته باطلة ، ومن لا يحبه فهو كافر ، وإنما الذي ننكره نحن أهل نجد هو الغلو الذي نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه ، كما ننكرالاستعانة والاستغاثة بالأموات ، ونصرف ذلك لله وحده .

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ التلمساني : فاستمر النقاش بيني وبينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام حتى شرح الله صدري للعقيدة السلفية ، وأما توحيد الأسماء والصفات فإن الذي قرأته في الجامع الأزهر هو عقيدة الأشاعرة وكتب الكلام مثل السنوسية وأم البراهين وشرح الجوهرة وغيرها ، فلهذا دام النقاش فيه بيني وبين الشيخ ابن عيسى خمسة عشر يوماً ، بعدها اعتنقت مذهب السلف ، فعلمت أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم بفضل الله تعالى ، ثم بحكمة وعلم الشيخ أحمد بن عيسى .

ثم إن الشيخ التلمساني أخذ يطبع كتب السلف .. وصار من دعاة عقيدة السلف.

قال الشيخ محمد نصيف : فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني فالحمد لله على توفيقه « [10] .

8 -تميزت تلك الردود بعمق وعي أصحابها :

وسعة اطلاعهم وفقههم واقعهم ، ومعرفة مشكلات عصرهم ، ولقد حرص علماء نجد على نشر ردودهم في المجلات ذات الانتشار الواسع ، مع صعوبة وتعذر الاتصالات آنذاك فالشيخ ابن سحمان يكتب رداً على جريدة القبلة لسان الشريف الحسين بن علي ويرسل هذا الرد إلى مجلة المنار ، ويكتب الشيخ العلامة السعدي رسالة إلى مجلة المنار ، فيثني ثناء حسناً على المجلة وصاحبها ، ويشير إلى جهود تلك المجلة في نصرة الإسلام ، ثم يبدي انتقاده على المجلة بضعف اهتمامها في الرد على الملاحدة والزنادقة ، وأصحاب المسلك العقلاني ، ويذكر السعدي في رسالته طنطاوي جوهري وما في تفسيره » الجواهر « من المزالق ، ويربط هذا الاتجاه المنحرف بالاتجاه الفلسفي اليوناني القديم [11] .

كما انتقد الشيخ محمد بن مانع في رسالة خطية محمد رشيد رضا في دعوته للتقريب بين أهل السنة والشيعة* ، وانتقد عموماً المدرسة الإصلاحية ، كما بعث الشيخ عبد الله بن يابس انتقاداً لكتاب » الوحي المحمدي « لمحمد رشيد رضا ، وقد

نشر في مجلة المنار ، ثم أعقبه محمد رشيد رضا بالجواب [12] .

9- قوة الحجة ووضوح البرهان :

لاشك أن اتباع الحق بدليله يورث يقيناً ورسوخاً ، ومن ثم يتميز أهل الحق بقوة حجتهم ، وثبات منهجهم ، واطراد مسلكهم بخلاف أهل الباطل ، فهم في ريبهم يترددون ، يغلب عليهم التناقض والتذبذب .

ونلحظ من خلال ردود علماء نجد قوة الحجة ، والثقة المطلقة بالمنهج الذي سلكوه مسلك أهل السنة والجماعة ولا ريب أن هذه الحجج القوية نابعة من علم راسخ ويقين ثابت .

وقد كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول : » أنا أخاصم الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية ، والمالكي والشافعي والحنبلي كلاً أخاصمه بكتب المتأخرين من علماء مذهبه الذين يعتمد عليهم [13] .

ومن ذلك أن مندوباً انجليزيا قدم البحرين وكان قسيساً نصرانياً ومعه كتاب يحوي شبهات في إثبات صحة النصرانية وتوهين دين الإسلام ، فعرضه على حاكم البحرين ، وطلب منه عرضه على علماء البحرين ليجيبوا عليه أو يقروا بصحة ما فيه إن عجزوا ، فَعُرِضَ عليهم فقالوا : لا نستطيع الرد عليه فقال له أحد خواصه : إنه يوجد في البحرين شاب من طلبة العلم بنجد ، فأرى أن تعرضه عليه عسى أن يكون له عنده جواب ، فأعطى الكتاب لهذا الطالب ، وهو الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر (ت1244ه) ، فقال : سأعطيكم الجواب عليه بعد شهر إن شاء الله تعالى ، فلم يمض شهر حتى دفع إليهم الجواب السديد ، واسمه » منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب « فدعى القسيس الانجليزي ، فلما قرأ الرد دهش من قوة الجواب وسداد الرأي « [14] ... تلك وقفات تحتاج إلى مزيد بسط وبيان ، لكن حسبنا من هذه الوقفات العابرة أن تكون حافزاً للاطلاع على تراث أولئك العلماء ، والتأسي بهم في جهودهم العلمية والعملية ، وبالله التوفيق .

(1) انظر فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم 12/250 ، 254 ، 264 ، 270 ، 468 .
(2) الدرر السنية في الأجوبة النجدية 7/261 .
(3) هداية الطريق في رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن عتيق ص229 .
(4) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية 3/162 ، 163 .
(5) الدرر السنية 9/269 .
(6) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم 1/250 12/187-190 .
(7) علماء نجد خلال ستة قرون للبسام 3/830 .
(8) انظر تفصيل هذه المناظرة في روضة الأفكار لابن غنام 1/131-133 .
(9) طبعت هذه الرسالة بعنوان الفواكه العذاب في الرد علي من لم يحكم السنة والكتاب ، انظر تفصيل هذه المناظرة في روضة الأفكار 1/200 ، 201 .
(10) علماء نجد 1/156-158 (باختصار) .
(11) انظر مجلة المنار ، مجلد 29 ج2 ، ص46-48 .
(12) انظر مجلة المنار ، مجلد 34 ج2 ، ص140-146 .
(13) مجموعة مؤلفات الشيخ عبد الوهاب 5/38 .
(14) انظر علماء نجد 2/446 * آخر ما استقر عليه أمر الشيخ محمد رشيد رضا هو اقتناعه بعدم فائدة توجه التقريب مع الشيعة لما هم عليه من أصول تخالف الكتاب والسنة .

- البيان -

دراسات شرعية

النفاق

حقيقته ، أنواعه ، صوره

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

- 2-

د . محمد عبد الله الوهيبي

تمهيد :

تطرق الكاتب في الحلقة السابقة إلى تعريف النفاق في اللغة والاصطلاح ، وبين معنى النفاق الأصغر وأنه نوع من الاختلاف بين السريرة والعلانية مما هو دون الكفركالرياء ، وبين أن النفاق الأكبر الذي هو إظهار الإنسان إيمانه بالأركان الستة للإيمان ، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه .. وفي هذه الحلقة يواصل الكاتب المزيد من الإيضاح لجوانب أخرى من الموضوع .

- البيان -

صور النفاق الأكبر :

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعض هذه الصور ، فقال : فمن النفاق ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، كنفاق عبد الله بن أبيّ وغيره ، بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بُغْضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك : مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله ، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومازال بعده ، بل هو بعده أكثر منه على عهده ...) [1] .

وقال في موضع آخر : (فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه ، أن لا يرى وجوب تصديق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر به ، ولا يرى أيضاً وجوب طاعته فيما أمر به ، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علماً وعملاً وأنه يجوز تصديقه وطاعته لكنه يقول : إنه لا يضر اختلاف الملل إذا كان المعبود واحد ، ويرى أنه تحصل النجاة والسعادة بمتابعة الرسول وبغير متابعته ، إما بطريق الفلسفة والصبر ، أو بطريق التهود والتنصر ...) [2] .

ونقل هذه الأنواع الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فقال : (... فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول ، أو بُغْض الرسول أو بغض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار) [3] .

فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان بعد دمج الأنواع المتشابهة أو المتقاربة خمس صفات أو أنواع هي :

1- تكذيب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، أو تكذيب بعض ما جاء به .
2- بغض الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو بغض ما جاء به .
3- المسرة بانخفاض دين الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم .
4- عدم اعتقاد وجوب تصديقه فيما أخبر .
5- عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر .

وبالنظر إلى الآيات التي ذكرت أحوال المنافقين ، وكلام المفسرين حولها ، يمكن أن يضاف إلى هذه الصفات صفات أخرى ، وهي :

6- أذى الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو عيبه ولمزه .
7- مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين .
8- الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله .

9- التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم .

فالوقوع في أي صفة من هذه الصفات يُخرج من الملة ، وهذه الصفات أكثرها متعلق بحق الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (... فالنفاق يقع كثيراً في حق الرسول ، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته ...) [4] .

وسأشرح بعض هذه الصفات باختصار ذاكراً أدلة نفاق صاحبها :

1- أذى الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو عيبه ولمزه :

وهذا داخل في سبه -صلى الله عليه وسلم- لأن السب : » هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف ... « [5] والعيب ، واللمز فيه انتقاص .

قال تعالى : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ [التوبة : 58] .

نزلت هذه الآية في ذي الخويصرة التميمي حينما جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقسم غنائم حُنين (فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه ، قال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ... قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه ، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : فنزلت فيه ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ﴾) [6] .

قال الإمام الشوكاني في تفسيرها : (قوله : ومنهم من يلمزك) ، يقال : لمزه يلمزه : إذا عابه ، قال الجوهري : اللمز العيب ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها ، ... ومعنى الآية : ومن المنافقين من يعيبك في الصدقات : أي في تفريقها وقسمتها) [7] .

وقال في آية أخرى : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ [التوبة : 61] ، إلى قوله سبحانه : ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ [التوبة : 63] .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : (فعلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة ، فيجب أن يكون داخلاً فيه ، ولولا ذلك لم يكن الكلام مؤتلفاً ، ... ودل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر لأنه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها ...) [8] ، وقال الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية : (قوله : » ومنهم « هذا نوع آخر مما حكاه الله من فضائح المنافقين وقبائحهم ، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- على وجه الطعن والذم هو أذن ، قال الجوهري : يقال رجل أذن : إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوي فيه الواحد والجمع ومرادهم أقمأهم الله أنهم إذا آذ وا النبي -صلى الله عليه وسلم- وبسطوا فيه ألسنتهم ، وبلغه ذلك اعتذروا له وقَبل ذلك منهم ، لأنه يسمع كل ما يقال له فيصدقه، وإنما أطلقت العرب على من يسمع ما يقال له فيصدقه أنه أذن مبالغة ، لأنهم سموه بالجارحة التي هي آلة السماع ، حتى كأن جملته أذن سامعة ، ... وإيذاؤهم له هو قولهم » هو أذن « لأنهم نسبوه إلى أنه يصدق كل ما يقال له ولا يفرق بين الصحيح والباطل اغتراراً منهم بحلمه عنهم وصفحه عن خباياهم كرماً وحِلماً وتغاضياً ....) [9] .

وهذه الآية والتي قبلها ذكرهما شيخ الإسلام ضمن الآيات الدالات على كفر شاتم الرسول وقتله [10] .

وذكر أن إيذاء الرسول ولمزه من الصفات الدالة على نفاق صاحبها ، فقال

رحمه الله : (وذلك أن الإيمان والنفاق ، أصله في القلب ، وإنما الذي يظهر من القول والفعل فرع له ودليل عليه ، فإذا ظهر من الرجل شيء من ذلك ترتب الحكم عليه ، فلما أخبر سبحانه أن الذين يلمزون النبي -صلى الله عليه وسلم- ، والذين يؤذونه من المنافقين ، ثبت أن ذلك دليل على النفاق وفرع له ، ومعلوم أنه إذا حصل فرع الشيء ودليله حصل أصل المدلول عليه ، فثبت أنه حيث ما وجد ذلك كان صاحبه منافقاً سواء أكان منافقاً قبل هذا القول ، أو حدث له النفاق بهذا القول) [11] ، وهذا السب من الإيذاء واللمز والاستخفاف مناف لعمل القلب من الانقياد والاستسلام (ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم أو يستخف به ، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد واستسلام ، فلا يكون فيه إيمان ، وهذا هو بعينه كفر إبليس فإنه سمع أمر الله فلم يكذب رسولاً ولكن لم ينقد للأمر ، ولم يخضع له واستكبر عن الطاعة فصار كافراً) [12] .

2- التولي والإعراض عن حكم الله ورسوله :

ذكرت هذه الصفة عنهم في سورتي النساء والنور ، قال تعالى : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [النور: 47 ، 48]، يقول الحافظ ابن كثير في تفسيرها : (يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون يقولون قولاً بألسنتهم ﴿ آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ﴾ أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم ، فيقولون ما لا يفعلون ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ أي إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه ، وهذه كقوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون ... ﴾ [13] ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين ، وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا) [14] ، وقال سبحانه في سورة النساء : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً ﴾ [النساء : 60 ، 61] ، لا شك أن هؤلاء المعرضين ممن يدعون الإيمان هم المنافقين [15] ، (فبين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى الرسول فصد عن رسوله كان منافقاً) [16] .

وهذا النوع من النفاق مما ينافي عمل القلب من القبول والاستسلام .

3- مظاهرة الكافرين ومعاونتهم على المؤمنين :

وهذه من أخص صفات المنافقين ، فهم في الظاهر مع المؤمنين ، لكنهم في الحقيقة مع الكفار عيوناً وأعواناً لهم ، يكشفون لهم عورات المسلمين وأسرارهم ، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ [المائدة : 51 ، 52] .

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية بعدما ذكر الخلاف في المعني بهذه الآية : (والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين جميعاً أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان

بالله ورسوله ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيراً وحليفاً وولياً من دون الله ورسوله والمؤمنين ، فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان) [17] .

ومن الآيات الصريحة دلالتها في اتصاف المنافقين بهذه الصفة قوله تعالى : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ [النساء : 138 ، 139] .

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية : (... أما قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ ، فمن صفة المنافقين ، يقول الله لنبيه : يا محمد ، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي ، والإلحاد في ديني « أولياء » يعني أنصاراً وأخلاء « من دون المؤمنين » يعني من غير المؤمنين ، « أيبتغون عندهم العزة » أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهـل الإيمان بي ؟ ، « فإن العزة لله جميعاً » يقول : فإن الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم ، هم الأذلاء الأقلاء ...) [18] .

ومعلوم أن موالاة الكفار مراتب مختلفة [19]، منها ما يصل إلى درجة الكفر الأكبر ، ومنها دون ذلك ، وما نشير إليه هنا هو الموالاة المخرجة من الملة التي يختص بها المنافقون وهي اتخاذهم أنصاراً وأعواناً على المؤمنين ، أو الموالاة التامة لهم بالرضى عن دينهم أو تصحيح مذهبهم ونحو ذلك ، يقول الإمام الطبري رحمه الله مبيناً ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ [آل عمران : 28] ، قال رحمه الله : (لا تتخذوا أيها المؤمنون ، الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم ، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين ، وتدلونهم على عوراتهم ، فإنه من يفعل ذلك ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ...) [20] ، وذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ضمن نواقض الإسلام (الثامن) : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [21] .

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ : (وذلك الظلم يكون بحسب التولي فإن كان تولياً تاماً، كان ذلك كفراً مخرجاً من دائرة الإسلام ، وتحت ذلك من المراتب ، ما هو غليظ ، وما هو دونه) [22] .

وهذه الموالاة تدل على فساد في اعتقاد صاحبها ، وبخاصة من جهة منافاتها لعمل القلب من الحب والبغض ، فالحب والبغض كما هو معلوم أصل الموالاة والبراءة ، فمحبة المؤمنين تقتضي موالاتهم ونصرتهم ، وبغض الكافرين يقتضي البراءة منهم ومن مذاهبهم وعداوتهم ومحاربتهم ، فإذا عادى المرء المؤمنين وأبغضهم ، ووالى الكافرين وناصرهم على المؤمنين ، فقد نقض أصل إيمانه .

4- المسرة بانخفاض دين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو الكراهية لانتصار دينه :

وهذه الصفة ذكرها الله عز وجل عن المنافقين في أكثر من موضع ، فهم بسبب موالاتهم للكافرين يسعون معهم لإضعاف المسلمين وإثارة الفتن بينهم والتخذيل ويسيئون الظن بوعد الله ونصره ، ويحبون ظهور الكفار وانتصارهم على المسلمين ويفرحون بذلك ، وبالمقابل يصيبهم الهم والغم حينما ينتصر المسلمون .

قال عز من قائل : ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم ، وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا وهم فرحون ﴾ [التوبة : 50] ، قال الإمام الشوكاني رحمه الله : (إن تصبك حسنة) أي حسنة كانت بأي سبب اتفق كما يفيده وقوعها في حيز الشرط ، وكذلك القول في المصيبة ، وتدخل الحسنة والمصيبة الكائنة في القتال كما يفيده السياق دخولاً أولياً ، فمن جملة ما تَصْدُق عليه الحسنة ، الغنيمة والظفر ، ومن جملة ما تصدق عليه المصيبة الخيبة والانهزام ، وهذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين وسوء أفعالهم ، والإخبار بعظيم عداوتهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين ، فإن المساءة بالحسنة ، والفرح بالمصيبة من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا الغاية) [23]، ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله : (وأما الذي أخبر الله تعالى بأنه إن أصابت رسوله عليه الصلاة والسلام سيئة ومصيبة تولوا وهم فرحون ، أو أنه إن أصابته حسنة ساءتهم فهؤلاء كفار بلا شك) [24].

والذين يسوءهم انتصار دين الرسول -صلى الله عليه وسلم- حكمهم حكم من يسوءه انتصار الرسول نفسه ، ولذلك ورد في الآية السابقة : ﴿ إن تمسسك حسنة تسؤهم ... الآية ﴾ ، وفي آية أخرى ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، إن الله بما يعملون محيط ﴾ [آل عمران : 120] .

وما أكثر ما نلاحظ هذه الصفة في المنافقين المعاصرين من الساسة والإعلاميين وغيرهم ، حيث يصيبهم الهم والغم والحزن ، ويظهرون الكراهية حينما ينتصر المسلمون في بلد من البلدان ، وبالمقابل يظهرون الفرح والسرور والتشفي بما يصيب المؤمنين من هزيمة ومصائب ومحن ، وقد يبررون هذا السلوك بوجود انحرافات وأخطاء لدى بعض المؤمنين ، وهذا المبرر أو التأويل وإن عُذر به المتأولون المجتهدون ، فلا عذر لكثير من هؤلاء لأنه لا يعرف عنهم حرص على التدين أو غيرة على الدين ، وإنما يحرصون على ما يرضي أولياءهم الحقيقيين من اليهود والنصارى ونحوهم ، وهذا السلوك المشين يدل على فساد في عمل القلب من الحب والفرح أو البغض والكراهة ، نسأل الله تبارك وتعالى السلامة والعافية .

ويمكن أن نذكر صنفاً آخر من أصناف المنافقين ، الذين عُرفوا على مدار التاريخ بالكيد للسنة وأهلها ومعاونة الأعداء عليهم ، والحزن لظهور السنة وعلوها ، والفرح بانهزام أهل السنة وانكسارهم ، وهؤلاء هم الرافضة وقد صور شيخ الإسلام حالهم هذا أحسن تصوير ، فقال : (... فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة ، ويوالون التتار ، ويوالون النصارى ، وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة ، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم ، وغلمان السلطان ، وغيرهم من الجند والصبيان ، وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن ، وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور ، وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد ، ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين ، وكاتب التتار ، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة ونهى الناس عن قتالهم ، وقد عرف العارفون بالإسلام : أن الرافضة تميل مع أعداء الدين ...) [25].

فهل يعي المسلمون بعامة ، والمنتسبون إلى الدعوة بخاصة ، هذه الحقيقة ؟ وهل يعي هذه الحقيقة من لايزالون يدافعون عن القوم ويحسنون الظن بهم أو يتحالفون معهم ويعلقون عليهم الآمال لنصرة الدين ؟

---

(1) مجموع الفتاوى 28/434 .
(2) الإيمان الأوسط 180 .
(3) مجموعة التوحيد 7 .
(4) الإيمان الأوسط 181 ، وانظر الإيمان 285 .
(5) الصارم المسلول 561 .
(6) رواه البخاري ، كتاب استتابة المرتدين باب من ترك قتال الخوارج للتألف رقم 6933 (الفتح 12/290) .
(7) فتح القدير .
(8) الصارم المسلول 38 .
(9) فتح القدير 2/375 .
(10) الصارم المسلول 28 ، 34 .
(11) نفسه 35 .
(12) نفسه 521 .
(13) تفسير ابن كثير 3/298 ، وانظر تفسير الطبري 18/15 ، وتفسير أبي السعود 4/134 (13) تفسير ابن كثير 3/298 ، وانظر تفسير الطبري 18/15 ، وتفسير أبي السعود 4/134 .
(14) الصارم المسلول 39 .
(15) تفسير ابن كثير 1/519 .
(16) الصارم المسلول 38 .
(17) تفسير الطبري 10/398 .
(18) تفسير الطبري 9/319 .
(19) انظر الولاء والبراء ، د محمد القحطاني 231 247 .
(20) تفسير الطبري 6/313 .
(21) الرسائل الشخصية 213 .
(22) تفسير كلام المنان 7/357 ، وانظر 2/304 .
(23) فتح القدير 2/368 ، 369 ، وانظر تفسير الطبري 14/289 .
(24) المحلى 11/205 ، 206 .
(25) مجموع الفتاوى 28/636 ، وانظر 28/435 .

خواطر في الدعوة

منهج الاعتدال

محمد العبدة

هل تستطيع الدعوة الإسلامية القضاء على هذا التشرذم والتفتت الذي أضر بالعمل الإسلامي أيما ضرر ؟ وعلى هذه النوابت التي ما تفتأ تظهر بين الحين والآخر ، ويغلب على كثير منها الغلو في الدين ، مما يدع الناس حيارى لكثرة ما يلقى إليهم من خلاف في الدين واجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان ، ويحق للمسلم أن يسأل عن سبب كثرة هذه الظواهر في السنوات الأخيرة ، وهل هذا شيء طبيعي ؟!

إن ظاهرة الغلو أو التساهل في الأوامر والنواهي ، نشأت قديماً وربما يكون هذا من طبيعة الإنسان الذي لا يقهر نفسه على منهج الاتباع والاعتدال والوسطية ، ففي التشدد والتساهل أهواء نفسية ، وطموحات دنيوية ، وجهل بأسس هذا الدين ومقاصده العامة ، وإنما تكثر هذه النوابت عندما يضعف العلم ويقل العلماء ، وإن كان العلم متيسراً ومنتشراً في هذه الأيام ولله الحمد ولكن العلماء المستقلون الذين يجمعون بين العلم والتقوى ويكونون مرجعاً للمسلمين وللشباب خاصة ، هؤلاء قلة قليلة ، وقد تخلو منهم بعض الأقطار .

وإذا أردنا الاستفادة من الماضي فهناك تجربتان تدلان على أنه عندما يوجد العلم والتطبيق العملي للإسلام ، فإن ظاهرة الغلو تضعف إلى حد بعيد .

1- عندما انحاز الخوارج عن علي رضي الله عنه استأذن ابن عباس رضي

الله عنهما في مناقشتهم وتبيين الحق لهم ، فذهب إليهم وسألهم عن سبب مخالفتهم ، ورد عليهم شبهاتهم من القرآن والسنة وتراجع عدد كبير منهم عن بدعتهم ، وعادوا إلى صفوف أهل السنة .

2- استمرت بدعة الخوارج زمن بني أمية ، ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله حاورهم وكان عالماً ربانياً ، ولما لم يجدوا في سلوكه وتصرفاته منفذاً للنقد أو الاحتجاج كما كان في تصرفات بعض من سبقه أقروا له بكل ما قال ، إلا ما كان من موافقته بأن يكون الخليفة بعده « يزيد بن عبدالملك » ، فوعدهم ببحث هذا الأمر ، ولكن المنية وافته قبل أن يتمه .

نخلص من هذين المثالين إلى أن العلماء الراسخين في العلم ، هم الذين يكشفون الشبهات ، ويبينوا حكم الإسلام في كل مسائل العصر ، ويجيبون عن كل الأسئلة التي تقلق بال الشباب المسلم ، وأن على الدعوة الإسلامية القيام بخطوات عملية جادة لتقوية جبهة الإسلام علمياً واجتماعياً واقتصادياً ، فلعل من عنده بقية من دين أو عقل يثوب ويرجع وتهدأ نفسه ، فالإنسان مجبول على الميل لمن يأخذ بيده لحل مشكلات الحياة التي تواجهه ، فهكذا رجع الخوارج عندما شاهدوا التطبيق العملي في سيرة عمر بن عبدالعزيز ، وسيبقى أصحاب الأهواء يستمرئون أعراض المسلمين ، ويخوضون معارك وهمية ، ويُذهبون أوقاتهم في جدال لا خير فيه ، فهؤلاء لا يؤبه لهم ، والقافلة تسير بدونهم .

هموم ثقافية

مسيرة المنهج وتشكلاته في الفكر الإسلامي

عبدالعزيز بن محمد الوهيبي

متى ظهر المنهج في الإسلام ؟ وهل تشكل وتغير أم بقي على صورته الأولى لم يتغير ؟

* وإذا كان قد تغير ، فما هي المحطات الأساسية التي توقف عندها ؟ ومن هم أبرز ممثلي التيارات الفكرية الكبرى في ذلك المنهج ؟

* هل عرف المنهج في الإسلام ما يسمى بـ « الثورة العلمية » ، أو « القطيعة المعرفية » في التفكير الغربي الحديث ؟

هذه الأسئلة وغيرها من قضايا المنهج ، كانت ومازالت مطروحة في الفكر الإسلامي في مختلف عهوده ، ولكنها اليوم بخاصة ، في هذا الطور الحديث لمسيرة الفكر البشري ، ومسيرة الأمة الإسلامية ، وذخيرتها من التجارب والمحاولات المختلفة للنهضة ، ورؤاها المختلفة للمنهج ولنفسها وللعالم والكون من حولها ، نتيجة للتخبطات والمناهج الملفقة ، فإن هذه الأسئلة تعود لتحتل موقعاً مركزياً في التفكير والتأليف من مفكرين ومؤلفين عرب ومسلمين ، ذلك أن واقع البشرية والتعاسة والدمار الذي أصابها منذ الثورة العلمانية الكبرى الحديثة التي يؤرخ لها بالثورة الفرنسية (سنة 1789م) .

وواقع العرب والمسلمين الذين يجيئون في قاعدة السلم في التقدم والعلم والنماء الاقتصادي ، هذا الواقع يشهد بأن هنالك أزمة في المنهج ، أزمة في التفكير وطرائقه ، أزمة في النظام التشريعي والأخلاقي والإداري وباختصار أزمة في كل شيء تقريباً ، ولا مناص من مواجهة الأزمة في جذورها الحقيقية والبحث عن علاج ناجع لها ، ومخرج سديد منها .

ومن هنا فإني في هذا المبحث القصير أحاول الرجوع القهقرى ، لنرى معاً البدايات للمنهج في الإسلام ، والمحطات والمنعطفات التي توقف عندها والشخصيات والأعلام الذين توهج بهم ، وتركوا خلفهم بصمات لا تنسى على مسيرة المنهج في الإسلام .

والبداية التي ننطلق منها معاً هي : نزول الوحي ، ذلك أن الرسل عليهم السلام بُعثوا إلى أمم متعددة وشعوب متفرقة ، كانت ذات ثقافات ومناهج وطرق متنوعة في التفكير ، ولذلك لم يكن لهم عليهم السلام مندوحة من خطوتين اثنتين في التغيير الفكري ، والعقدي والاجتماعي والسياسي :

الخطوة الأولى : هدم المناهج الباطلة السائدة في مجتمعاتهم وأممهم ، وبيان ضلالها وتهافتها .

الخطوة الثانية : بناء المنهج الصحيح البديل ، وتأصيله وتعميقه .

فهما خطوتان : هدم وبناء ، إبطال وتأسيس ، تخلية وتحلية ، تفكيك وتركيب، كما هو هدف الرسالة كلها : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾ [البقرة : 257] ، فهما عمليتان : كفر وإيمان ، رفض وقبول ، هدم وتأسيس .

مناهج الجاهلية ومواجهتها :

فما هي يا ترى مناهج الجاهلية التي واجهت الرسل ، وعلى الخصوص خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم- ؟ وكيف تمت تعريتها وكشفها وإبطالها وتقديم البديل الصحيح عنها ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال إجابة عن قضية المنهج التي شغلت البشرية بكل أبعادها وما تزال ، وهي قضية ضخمة وخطيرة وشديدة التأثير ، ولذلك استحقت كل هذا الاهتمام وأكثر منه ، والله المستعان .

أول ما نندهش لمواجهته في موضوع المنهج في الإسلام كتاباً وسنة هو غزارة النصوص في هذا الباب وثراؤها الملفت للنظر .. !!

حقاً ، لقد احتلت قضية المنهج موقعاً مركزياً في نصوص الكتاب والسنة للخطورة التي تمثلها ، وللأهمية العميقة للوصول للمنهج السليم في تحديد خيارات الإنسان ورهاناته المستقبلية وميزان قيمه وأحكامه : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ... ﴾ [الحديد : 25] .

فما هي أولاً : طبيعة التفكير الجاهلي ؟ وكيف تنقض وتبطل ؟

وما هي ثانياً : المنهجية البديلة عنها ؟

في المسألة الأولى : هنالك ملامح ومظاهر متعددة للتفكير الجاهلي نحاول أن نجملها في هذه العُجالة بما يلي :

أولاً - الفهم السحري الخرافي للكون والحياة ومظاهر الطبيعة :

يقول تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ... ﴾ [الجن : 6] ، ﴿ واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ... ﴾ [البقرة : 103] ، ﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال : طائركم عند الله ، بل أنتم قوم تفتنون ... ﴾ [النمل : 47] .

ولقد رفض الإسلام هذه الرؤية السحرية ، وأثّمها وجّرمها ، بل لقد كفرها ، كما قال تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر ... ﴾ [البقرة : 103] .

كما قوّض الوحي معالم هذه الرؤية السحرية الخرافية : يقول النبي - صلى الله عليه وسلم- : « إن الرقى ، والتمائم ، والتولة شرك » [1] ، ويقول : « لا

عدوى ، ولا طيرة ولا هامة ، ولا صفر » ، عن أبي هريرة وزاد : « ولا نوء ولا غول ... » [2] .

ثانياً - تعطيل وسائل الفهم الصحيح والاستدلال المنتج :

 ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس : لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون [الأعراف : 179] .

فهم لا يسمعون : بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ... [فصلت : 4] ، وإذا سمعوا لا يعقلون : ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه .. [الأنعام : 25] ، وإذا عقلوا لا يعملون : إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم [فاطر : 14] ، أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ... [البقرة : 75] .

ولذلك فقد قارن كتاب الله تعالى بينهم وبين المؤمنين ، وبيّن آثار هذه المقارنة بقوله : مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، هل يستويان مثلاً ؟ أفلا تذكرون [هود : 24] ، والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً نكتفي منها بذلك الذكر الطيب المبارك .

ثالثاً - استحداث مناهج ووسائل بديلة باطلة : ومن ذلك :

1 -القول بعصمة طائفة من الناس وصحة أقوالهم مطلقاً بغض النظر عن شواهدهم أو أدلتهم أو مستنداتهم ، وذلك لقدرهم وعظمتهم في النفوس (كالآباء والأجداد) أو لوجاهتهم وقوتهم وجبروتهم (كالزعماء السياسيين) أو لقداستهم ومكانتهم الدينية ! (كالأحبار والرهبان) ، يقول الله سبحانه وتعالى عن النوع الأول :

 وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون [الزخرف : 23] ، وفي الأخرى (مهتدون) [الزخرف : 22] ، وعن النوع الثاني يقول تبارك وتعالى : وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ... [الأحزاب : 67 ، 68] ، وعن النوع الثالث يقول جل وعلا :

 اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون [التوبة : 31] .

ولا ريب أن أعظم إبطال لنظرية العصمة هذه سواء أجاءت على لسان المقال (كما هو عند النصارى والشيعة) أو على لسان الحال (كما هو عند كثير من الناس) هو البيان الأكيد والتكرار الشديد لبشرية النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وتعرضه للخطأ والنسيان وإن كان لا يقر من الله تعالى ونزول المعاتبة له ولأصحابه في نصوص قرآنية قاطعة متكررة تتلى إلى يوم القيامة ، كما في سورة « عبس » وغيرها من السور .

2- التقليل من قيمة المعرفة والاكتفاء في القضايا الخطيرة بالظن والخرص والهوى والمتشابهات : وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها ، قلتم ما ندري ما الساعة ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ... [الجاثية : 22] ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ... [النجم : 23] ، وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون [الأنعام : 116] فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ... [آل عمران : 7] ، وهذه هي الوسيلة المفضلة في انحرافات المعاصرين فقل أن تجد ذكر الله واليوم الآخر في وسائل الإعلام المقروءة

والمسوعة والمرئية الغربية ؟!

3 -الكبر وبطر الحق بعد ظهوره لهم : سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ... [الأعراف : 146] ، ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ، فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين [الأنعام : 7] ، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [النمل : 14] .

وهؤلاء لا تنفع معهم الحجج مهما تكاثرت وتضافرت ، فالعيب عندهم أخلاقي سلوكي داخل في باب الشهوات ، وليس معرفياً علمياً يدخل في باب الشبهات التي تزول بالعلم ، وهي علل قديمة جديدة ، فلم تخرج انحرافات المعاصرين مع تنوعها وتشعبها في خطوطها العريضة عن الانحرافات الأولى بل لاتزال تكررها وتعيد إنتاجها بصور وعناوين جديدة ، والاستقراء خير شاهد .

ذلك هو منهج الإسلام في بيان خلل وخطل وفساد المناهج الجاهلية وذكر وجوه العيب فيها ، وسبل السلامة من تلك الوجوه ، فما هو يا ترى المنهج المفضل البديل .. ؟!

ملامح المنهج الإسلامي في التفكير :

هنالك الكثير من النصوص التي ترسم ملامح وقسمات هذا المنهج وطرائقه نذكر منها :

أولا : الإعلاء من شأن العلم ، والرفع من قيمة العلماء المخلصين في البحث عن الحقيقة : وقل رب زدني علماً .. [طه : 114] ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ... [العلق : 1] ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... [المجادلة : 11] ، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير [الملك : 10] ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أفلا تعقلون ... [الزمر : 9] ، ونصوص الكتاب والسنة في هذا المعنى كثيرة جداً ، نكتفي منها بما ذكر هنا .

ثانياً : إطلاق الوسائل المعرفية إلى أقصى مداها كي تنهل من مصادر المعرفة المتاحة لبني الإنسان ، فقد خلق الله الإنسان للإعلام ، ولكنه زوده بوسائل المعرفة : والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ... [النحل : 78] ، ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا [الإسراء : 36] .

فلدينا سمع ينهل من الأخبار : وحياً ربانياً ، أو حدثاً إنسانياً ، وبصر ينهل من الكتاب : المقروء وهو الوحي ، والكتاب المنظور وهو الكون ، وفؤاد يعقل نفسه ويعقل الكتاب المنظور والمسطور ، ولقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في الحديث عن الوسائل الثلاث : السمع والبصر والفؤاد ، حيث ورد كل منها وما يشتق عنها في مائة وثمانين موضعاً في كتاب الله تبارك وتعالى بينما ورد الحديث عن العقل ، واللب ، والنهى ، والحكمة في حوالي ستة وثمانين موضعاً ، وكفى بذلك دلالة على عناية الإسلام وحرصه الشديد على إطلاق وسائل الإنسان المعرفية المتاحة إلى مداها الأقصى ، تلك الوسائل التي تنهل من المصادر الثلاثة : الخبر عن الله في وحيه ، وعن الإنسان في حاضره وماضيه ، والكون والعقل الذي يتلقى ذلك كله ويتدبره ويفهمه ويزنه ...

ثالثاً : التأكيد على الصياغة السننية العقلانية لظاهرة الوحي والظاهرة الإنسانية والكونية : أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ... [محمد : 24] ، ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون [البقرة :

179] ، ﴿ ولكل أمة أجل ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [الأعراف : 34] ، ﴿ سنة الله في الذين خلو من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ [الأحزاب : 62] ، ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (فاطر : 43) ، ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ... ﴾ (فاطر : 27-28) .

وهكذا فالظواهر الرسالية ، والإنسانية ، والكونية قابلة للتعقل والفهم والتركيب، ولذلك والله أعلم لم ينزل الله تبارك وتعالى الكتاب فقط وإنما أنزل معه الميزان العقلي : ﴿ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ [الحديد : 25] .

والأنبياء لم يعلّموا الكتاب فقط ، ولكنهم خلطوه بالحكمة : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ... ﴾ [آل عمران : 164] ، ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤتّ الحكمة فقد أوتي خيراْ كثيراْ ﴾ [البقرة : 269] .

و « الميزان » العقلي في الحقيقة يقوم « بوزن » الحقائق التي تحصل عليها الوسائل المعرفية الممكنة من مصادر المعرفة ، ومن ثم ترتيبها في سلم أولويات يعيد تشكيلها بعد انتزاعها من الواقع ويعطيها موقعاً في هذا السلم ، وحجماً مرناً قابلاً لإعادة التشكيل في ظروف الزمان والمكان ، فهو ليس ميزاناً جامداً لا يتبدل ولا يتغير ، وإنما يخضع لظروف الزمان والمكان والبيئة ، وهكذا نجد على سبيل المثال قضايا الرسل الحيوية تتفاوت من أمة لأخرى ، حسب انحرافها وضلالها ، ومن هنا يظهر وجه الخلل في الرؤية الخوارجية أو الإرجائية أو الشيعية مثلاً ، فضلاً عن أهل الكتاب ، فما بالك بالوثنيين .. ؟!

رابعاً : رسم معالم المنهج وتوضيحها بحسب العقل المعرفي الذي يعمل فيه:

1 -ففي حقل الأخبار : تأتي الوثائق المكتوبة المضبوطة تاريخياً ونقدياً في الطليعة : ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ... ﴾ [الحج : 8] ، ومن هنا كانت جريمة تزييف الوثائق خصوصاً فيما يتعلق بالوحي من أخطر الجرائم على الإطلاق : ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة : 70] ، وكذلك الآثار : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ... ﴾ [العنكبوت : 20] ، ثم يأتي قبول خبر الثقة : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ... ﴾ [التوبة : 61] .

والتوقف عن خبر الفاسق : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماْ بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ [الحجرات : 6] ورفض خبر الكاذب : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ... ﴾ [النور : 13] .

2 -وفي حقل الكونيات تجيء المشاهدة والتجربة والاستقراء معياراً أولاً :

﴿ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ... ﴾ [البقرة : 260] ، ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت مذكر ... ﴾ [الغاشية : 1721] ، وحديث التأبير الصحيح شهير في هذا المعنى .

3 -وفي حقل العقليات تجيء المسلمات والبداهات العقلية معياراً : ﴿ ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً ... ۞ [النساء : 82] ۞ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً .. ۞ [مريم : 42] .
وللحديث بقية .

نصوص شعرية

كَائنٌ بِلاَ هُوِيَّة

د . صالح الزهراني

من أيّ نهر شربت الصمت والوجلا ؟ ! أمهاتك صيّرن الشجى أملا
من أينَ عممت هذا الذّل .. ما عرفت أرض الشياهين لا نسراً ، ولا حجلا ؟
في مقلتيك أرى « سعداً » .. ببيرقه وفيلقاً « لصلاح الدين » مشتعلا
أرى احتمالات معنىً كنت أجهله ولم يكن عند من أغلاك محتملا

من أنت ؟ أبصرُ في عينيك أسئلة عويصة ، وهموماً أثقلت جبلا
من أنت ؟ أقرأ في كفيك ملحمة موؤودة ، وخيولاً كفّنت بطلا

كأنه ما أتاك الكون مبتهلاً يوماً ، ولا حُفّ بالنجوى ولا احتفلا
ولا ارتمت تحت رجليك النجوم هوى والشمس ما شاطرتك البوح والغزلا

من أنت ؟ « عنترة العبسي » ألمحه في وجنتيك يُباري الخيل والأسلا
كيف انحنى فيك هذا الرأس يا قمراً بزهو عينيه كنا نضرب المثلا

من أنت ؟ ما قلتُ شيئاً .. كان يقتلني بكل حرف بهيّ كلما سألا
ما قلت شيئاً .. نكست الرأس مكتئباً وكنت أطرق مما قاله خجلا

نصوص شعرية

.. الأسماء ..

فيصل بن محمد الحجي

لو كانت (الأسماء) تُشْرَ عادة بالمال من (بقَّالة) البلغاءِ
أو كان (يشحذها) الذي يحتاجها بالذُّل من بوّابة الكُبَراءِ ..
أو كان مصنعها بعيداً .. ثم لا تأتي بغير مشقةوعناءِ ..
لمشى الغنيُّ معدِّداً أسماءه ولعاش معظمُنا بلا أسماءِ

نصوص شعرية

.. التيه ..

محمد عبد القادر الفقي

وطال بنا الليلُ في التيه ..

ضاق بنا الدربُ
عشش فينا الخوارْ !
وها نحن والرجزُ إلفانِ ! ..
نعرى ... نجوع ... ونشقى
ونظمأ .. والنارُ تشوي الوجوهَ ..
تكاد السماواتُ من فوقنا ..
تخرّ علينا
وتنشق من تحتنا الأرضُ
والموجُ يطغى
ونصرخُ .. نصرخ :
» يا من يجيء إلينا بسبع سنابل خضرٍ
يفيض علينا من الماء والزيت ...
يُسعفنا من رماداتنا والجفافِ
فقد هلك الحرثُ والنسل ، والضرع جفّ
وغادرت المزن آفاقَنا
وعربد بين الربوعِ الخرابُ «
ويقبل » جونُ « بسنبلةٍ في اليسارِ !
ومُديتُهُ في اليمين !
ويدخلُ بين الزوايا ..
يؤلب هذا
ويَنقُد هذا
ويغتالُ هذا وهذا
وتمضي السنونْ
ونحن نقبل كفيه ، » والنعلَ « ! ..
نلعق ما كان بالأمس عاراً ! ..
ويزداد حجمُ الضحايا
ويعلو الأنين !

* * *

» ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا «
لفاضت على البعد أنهارُ خيرٍ
وصار المواتُ رُبَى من زروعٍ وزهر
وأمطرت السّحْب سمناً وشَهداً
ومناً وسلوى !
وساد الوئامُ ..
وحلّ السلامْ !

* * *

ولكنهم ما وعوا الذكرَ ، » ما كان أكثرهم مؤمنينْ « !
تعاموا وصموا وساروا بدرب شياطينهم سادرينْ
فحل عليهم عذاب مهينْ !
وأقفرت الأرض ، ما عاد غيرُ العضاهِ
وبومٍ تنوح مع النائحينْ

* * *

ولو أنهم صدّقوا المرسلينْ ..

لعاشوا كراماً وماتوا كراماً
وكانوا جميعا من المفلحينْ ! .

نقد على نقد

الأدب الإسلامي
محاورات وتعقيب

محمد حسن بريغش

استوقفني في العدد (78) من مجلة « البيان » ، القراءة النقدية لما نشر في العدد (76) للأستاذ الدكتور ناصر بن سعد الرشيد .

واستمتعت بهذه القراءة العميقة الجادة ، والتعقيبات المفيدة على ما كتبه الدكتور مصطفى بكري السيد ، والأستاذ الشاعر محمود مفلح ، وأود التوقف عند بعض النقاط التي وردت في التعقيب ، لما لها من فائدة في إثراء الموضوع وتجليته.

إن الذي أشار إليه الأستاذ محمود مفلح في العدد (76) في مقالته « نقد ظالم ونقد نائم » واقع ملموس ، وشكواه لها ما يبررها ، وأسبابها كثيرة منها :

1- تقصير المهتمين بالأدب الإسلامي ، وعزوفهم عن تناول الإبداع بالنقد ، والتقويم على أسس واضحة ، وانشغالهم بدلاً من ذلكبكثير من الأمور الاحتفالية والإعلامية ، واهتمامهم بتقديم النظريات والقوالب الأدبية المتخيلة للأدب الإسلامي، وانصرافهم عن الأمر الأهم ، وهو دراسة الإنتاج الأدبي الإسلامي في القديم والحديث ، والعودة إلى تراثنا الأدبي الكبير منذ فجر الرسالة الإسلامية ، إلى اليوم ، لدراسته وفق التصور الإسلامي ، وإبراز ملامحه وسماته ، واستخلاص المنهج الصحيح لهذا الأدب ، ووضع القواعد الموضوعية لنقد النصوص وتقويمها ، وإعادة عرض تاريخ الأدب العربي من جديد ، على أسس إسلامية منهجية صحيحة ، بعيداً عن المناهج الغربية ، التي استهدفت سلخه من الصفة الإسلامية ، وإبعاده عن حقيقته التي تنتمي إلى الإسلام في العموم .

ووفق هذا ستبرز الملامح الشاذة في هذا الأدب ، وتفرز الفترات المضطربة وحدها التي جعلها المنهج الغربي سمة عامة تنسحب على الأدب العربي كله وتوضع هذه الفقرات والنصوص في مكانها الطبيعي ، وضمن حجمها الصحيح .

وكذلك نحن بحاجة إلى عرض الآداب المختلفة لشعوب العالم الإسلامي غير العربي وفق المنهج ذاته لإبراز سماته وملامحه واستخلاص هذه الملامح التي تشكل منهجاً واقعياً صحيحاً للأدب الإسلامي .

إن مسؤولية المشتغلين بالأدب الإسلامي ، إزاء دراسة النصوص ونقدها والتعرف على خصائصها ، وإبراز سماتها ، والتعريف بأصحابها أهم بكثير من وضع الأسس النظرية ، والأطر الفكرية ، وفق القواعد المطبقة في المذاهب الأدبية الغربية ، لأن هذا الاتجاه يلغي وبشكل آلي تراثنا الأدبي كله ويخرجه من دائرة الأدب الإسلامي ، ولأن التنظير يعني محاولة إنشاء هذا الأدب حديثاً ، وتحديد قواعده ، وكأنه أمر مستحدث وليس امتداداً لتاريخ طويل وتراث كبير .

2- ومن هذه الأسباب قلة المنافذ الإعلامية المتاحة للأدب الإسلامي بعامة والنقد بخاصة فضلاً عن التعتيم المقصود في كثير من الأحايين على الأدباء الإسلاميين ، والمشتغلين بهذا الأدب .

3- ومنها ابتعاد مناهج الدراسة الأدبية في العالم الإسلامي عن دراسة هذا الأدب ، فضلاً عن الاعتراف به ، وخضوعها للمناهج الغربية في ذلك ، وهناك

أسباب أخرى لا مجال للحديث عنها في هذه العجالة [1].

ولكم كنت أتمنى أن يكون ضمن هذه التعقيب للدكتور ناصر على الشاعر مفلح ، مبادرة جادة منه للإسهام في النقد ، والاهتمام بالأدب الإسلامي قديمه وحديثه، لا سيما أنه يملك هذه القدرة ، وهذا الحس النقدي ولديه هذا الاهتمام الجاد بالأدب الإسلامي .

هذه الملاحظة تنقلني إلى ما طرحه الدكتور ناصر في تعقيبه عندما أشار إلى تعريف الأدب الإسلامي [2]، واستطرد بعدها إلى القول : « أود أن ننظر إلى الأدب العربي كله بعد الإسلام على أنه أدب إسلامي ، وأن نخرج منه ما خالف الإسلام على أنه أدب شذ عن منهج الأدب الإسلامي في مضمونه ، وفي تعبيره » .

ولأشد ما أفرحني ذلك ، لأنني وجدت من ألتقي معه في مثل هذه النظرات ، لرسم معالم الأدب الإسلامي على أسس متينة [3]، كما سجلت ذلك في كتابي الثاني عن الأدب الإسلامي ، فالأدب العربي منذ بزوغ الرسالةتحول إلى أدب إسلامي في عمومه وجملته ، وإن لم يكن إسلامياً في شموله اعتراه ما اعترى الناس من صواب وخطأ ، وقوة وضعف ، وصلاح وآثام » [4].

ومادام الأمر كذلك ، ألا يحق لنا أن نتساءل عن مدى جدية الكاتب في هذا الرأي ، وعن مسؤوليته في ذلك ، وهو الناقد والأستاذ الجامعي ، والدارس والمدرس للأدب ؟ نحو الأدب والدارسين .

إن أدبنا العربي بحاجة إلى نظرة صحيحة ، نظرة تعيده إلى منهج الأدب الإسلامي ، الذي يشمل الحياة كلها ، ولا ينحصر في موضوعات محددة كما يظ'ن الناس ، لأن الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي .

وهو حقيقة ممتدة من بدء ظهور الإسلام إلى اليوم ، وسيظل إلى قيام الساعة مادام هناك إسلام ومسلمون ، وقد يضعف ، وقد يعلوه الغبار والأصباغ ، ولكنه يظل باقياً مادامت كلمة الله تتلى ومادام كتاب الله العزيز محفوظاً .

وهذا ينسحب على كل الموضوعات ، والأفكار ، والأغراض ، والعصور والأساليب .. فلماذا يرمي الكاتب الفاضل المسؤولية على الآخرين وكأن الأمر خارج عن مسؤوليته ومسؤولية كل ناقد مسلم يهتم بإسلامه ومجتمعه ، وبالتالي يهتم بهذا الأدب ؟!

إن اشارة الناقد إلى رابطة الأدب الإسلامي ، وترك الأمر لها لترد على هذه التساؤلات نوع من الهروب ، ومع أن الرابطة قد تأسست لخدمة هذا الأدب ، فإن المسؤولية نحو الأدب الإسلامي ، وتحديد منهجه ، ليست مقصورة عى أحد لأن الأمر ليس كهنوتاً بل هو مسؤولية كل أديب مسلم ، وكل ناقد مسلم ، إن كان من أعضاء الرابطة أو خارج نطاقها ، فقضية الأدب الإسلامي هي قضية كل مسلم قبل الرابطة وبعدها ، والاهتمام به ليس مقصوراً على الرابطة أو على أي مؤسسة أخرى .

ومع أنني كنت من أول الداعين والعاملين لإنشاء هذه الرابطة والمؤسسين لها، والداعين للأدب الإسلامي ، فإنني أعرف أن كثيراً من المهتمين خارج الرابطة ليست إسهاماتهم بأقل من إسهامات الآخرين بل هي أكبر من إسهامات الرابطة لأنهم غير خاضعين للأطر الإدارية والنفسية التي تتحكم في أعمال الرابطة والمؤسسات الأخرى عموماً ، فضلاً عن أمور أخرى لا مجال للحديث عنها .

أما عن موقف بعض المنظرين للأدب الإسلامي من الأشكال الشعرية الجديدة، أو بعض التعبيرات الحديثة ، فإن الأدب الإسلامي يتسع لكل الأشكال والموضوعات ، لأن الإسلام هو الحياة ذاتها ولكنها الحياة كما أرادها لنا خالق الخلق

سبحانه وتعالى ، وهذه الحياة فيها كل ما يتعلق بالإنسان والمخلوقات من نشاطات ومشاعر وتجارب ، والأديب المسلم يعبر عن كل ذلك كمخلوق يخضع بعبوديته لله وحده ، والأدب الإسلامي أدب الحياة ، وأدب الإنسان في كل مكان ، وليس محصوراً في موضوعات محددة أو صيغ معينة ولكن هذا المفهوم لا يمنعنا من الوقوف في وجه التيارات الوافدة التي تتسربل بألوان وأشكال مستحدثة وتدعي بأنها لا تتعدى ذلك .

إن أقطاب هذه التيارات لا يخفون مقاصدهم إزاء كل شيء في تراث هذه الأمة وكيانها ، في الشكل والمضمون وفي السلوك والمعتقد وفي الوجود عموماً .

يقول يوسف الخال : « أريد أن أعبث باللغة مدة عشرين سنة كرد فعل على عبث أسلافنا بلغتنا ألف عام » .

ويقول د . بولس نويا اليسوعي المشرف على رسالة (الثابت والمتحول) لأدونيس ، التي أصبحت كتاباً مقدساً عند الحداثيين يخاطب أدونيس : « لا أخفي أنني شعرت بكثير من الحرج عندما طلبت مني أن أكون رفيقك في السفرة الاكتشافية التي كنتُ ناوياً القيام بها ، ولئن دفعني دافع إلى قبول هذه المهمة فلأنني شعرت عندما فهمت مقصدك وتبينت الخطوط الكبرى لما تريد أنك ستحقق حلماً حلمت به في شبابي مرتين ... » .

ويتابع : « إن معظم فصول أطروحتك إن لم يكن كل فصل منها يمكن أن يصبح منطلقاً لأبحاث أرجو أن يتفرغ لها كثير من الشباب تحت إشرافك وموجهين بتوجيهات منك » [5] .

فهل يمكن أن نقطع الصلة بين النصوص الحديثة وجذورها ؟ وهل يمكن أن نقرأ النص أيضاً بحد ذاته منفصلاً عن سياقه وسط المجموعات الشعرية والأدبية لهذا أو ذاك ؟ .

إن الأديب المسلم أديب منفتح على الحياة ، واسع الصدر ، يحب الناس ، ويحب الخير ، ولكنه أيضاً لا يستطيع التغاضي عن أي باطل ، ولا يستطيع أن يتغافل عما تحمله الصيغ التعبيرية من إيحاءات ومضامين يأباها الإنسان السوي كما تأباها عقيدة المسلم .

ولا يمنع هذا من قراءة كل ما يصدر عن هذا وذاك بقلب سليم النية وعقل واع متفتح ، وإدراك بصير ، حتى لا نقع في الغفلة من جهة ، ولا نحكم بالاندفاع العاطفي من جهة أخرى .

---

(1) انظر للمؤلف كتاب (الأدب : أصوله وسماته) الفصل الأول ، الأدب الإسلامي بين مؤيديه ومعارضيه (1935) .
(2) البيان العدد (78) ص 69 .
(3) الأدب الإسلامي : أصوله وسماته ، ص 4346 ، وانظر (8384) ، وانظر ص 89 وما بعدها .
(4) المصدر السابق ، ص91 .
(5) الثابت والمتحول ، 1/914 ، وواضح أنه يقصد الدعوة لإنشاء حركة يتولى أمرها أدونيس ، تتابع هدم هذه الأصول ، ولقد حدث ذلك .

دخان الصمت

عبد الوهاب الزميلي

(أ)

وفي أحداقنا نقشوا وصبوا في الدّم الحبرا
يد النّحات تحفر في جماجمنا فماً (حرّا) !
ترقّش في عظام الصدر ليلاً يقضم الفجرا
تلوّن صفحة التاريخ والآلامَ والبحرا

(ب)
تُسَرّبُ في رؤى الأطفال (شهماً !) يخنق الطهرا ؟ !
تسُكّ مسامعَ الأزْهَار تَسْقي شَوْكَنَا خَمْرا
تثقب كل ذاكرة رأت في بدرنا البدرا
(ج)
ونجري في خضم الزور في أحضانه (نعرى) !
تُطقطقُ في مفاصلنا نمال تقرضُ الجسرا
وتنشج في حناجرنا حروفُ تلعق القهرا
(ونغمس) في مناجمنا معاطس تنشق التبرا ؟
(د)
ويُطوَى في ثنايا الرمل نبضٌ يُنبت الجمرا
يَفُضّ التّلّ ينفُذُ في عروق (الموتة) الكبرى
يدهده ما تُحنّطُه وتلقمه فم المجرى
حروف (يغوثَ) .. وارتجفت لتعبد ربها (النسرا) ! !

نصوص شعر ية

.. أنواء ..

محمد البراهيم

يمضي عام .. ويجيء عامْ
وتظل رعاة الأزلامْ ..
تزرع غدراً ..
في عيني غدنا الأحلامْ
تأكل سحتاً ..
من ريع مبيع الأوهامْ !
بينا .. تتهادى عن بعدٍ ..
أنواءٌ لحمتها النارْ
وسُداها سحق الأحرارْ
وعلى بلدي ..
أتلمح خللَ الأنواءْ
وجه الطوسي ..
يبسم خبثاً
ويحيك عمائمه السودْ
يمنحها هام الوزراءْ
يوطئُ خيلَ التتر الأبطحْ
يستدعي حَجَر الأطهارْ
وبنو بلدي ..
يرتادون السوق جثياً
يبتاعون الوهم نقياً
(والغازي) ال (كانْ) السمسارْ ..
أبصر بعض النوء وأفتى :

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

هاتيك عوارض إمطارْ
وتلاه سليل الحنفاءْ ..
في رصف طريق الإلهام ! .

المسلمون والعالم

هذه حقيقة مجلس الأمن

نظرات في مواقفه من قضايا المسلمين

د . محمد طاهر حكيم

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن دور مجلس الأمن ومهامه في تحقيق الأمن والسلام العالميين إبان تعرض المسلمين لمآس ونكسات وويلات من أعدائهم في شتى أنحاء المعمورة ولا سيما في البوسنة وفلسطين وكشمير على سبيل المثال لا الحصر .

وظن بعضهم أن مجلس الأمن سيفرض الأمن ويعيد السلام إلى المناطق المنكوبة ، ويحقق الأهداف التي قام من أجلها وهي إقامة العدل ونصرة المظلوم وردع المعتدي ، وغاب عن هؤلاء أن المنظمة الدولية غدت أداة طيعة في أيدي الأقوياء لتحقيق خططهم وتنفيذ مآربهم .

إن مجلس الأمن تتحكم في قراراته خمس دول فقط الأعضاء الدائمون وهم : أمريكا ، روسيا ، بريطانيا ، فرنسا ، والصين ، التي تسعى من خلال قرارته لتحقيق مصالحها الخاصة وفرض سيطرتها على الدول الضعيفة والإسلامية منها بالذات ، ويقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي أو يعبر عن إرادة المجتمع الدولي وهذا عجيب وما أكثر عجائب هذا الزمن ومنها أن يقال عن القرار الصادر من خمس دول بأنه « دولي » ويفرض على باقي دول العالم دون أدنى حق لها في ابداء الرأي أو الاعتراض عليه ، بل إنه بإمكان دولة واحدة من هذه الدول الخمس إفشال أي قرار لا يعجبها بصرف النظر عن مواقف بقية الدول ، ومع هذا يقال عن أي قرار يصدر عن مجلس الأمن بأنه قرار دولي .

خذ مثالاً شعب البوسنة المسلم ، وما حدث له من وحشية وهمجية لا نظير لها حيث يعيش شعب بكامله تحت الإرهاب ، والحكم العسكري ، ونظام المعسكرات الذي يذكرنا بأساليب « النازية » أو « الفاشية » أو « الشيوعية » ومجلس الأمن الذي يتبجح بالدفاع عن حقوق الإنسان وقواعد القانون الدولي وحق جميع شعوب الأرض في العيش في سلام متباطئ متخاذل لأن هناك بعض الأعضاء الدائمين في المجلس لا يرون ما يراه العالم ودوله وشعوبه قاطبة ، فهل بعد هذا يصح أن يقال عن أي قرار يصدر من مجلس الأمن بأنه قرار دولي ؟

أين مكمن التزوير ؟

إن مجلس الأمن لا يعبر عن المجتمع الدولي بل هو يعبر عن هيمنة أعضائه الدائمين على « القرار الدولي » ولذا يحسن تسميته بـ « مجتمع القوة » أو « مجتمع الخاصة » أو « مجتمع النخبة » الذي يحكم باسم المجتمع الدولي ، ولذا فإن تسمية قراراته بالدولية زور وباطل .

إن هذا الوضع القائم ما هو إلا امتداد لحقبة الاستعمار الذي ولى بمظهره العسكري ليحل بمظهره السياسي ، فهذا المجلس في الحقيقة أصبح مجلس استعمار وليس مجلس أمن ، وهذا ما تؤكده أفعال أعضاء المجلس وتصريحاتهم ، فهم لا

يرون ضرورة الرجوع إلى مجلسهم أو استصدار القرار من مجلسهم فيما تقوم به دولهم من أعمال عدوانية أو تأديبية كما يسمونها تجاه الدول الأخرى ولا سيما الإسلامية بل تنطلق دولهم في تعاملها مع هذه الدول من منطلق القوة والنظرة الاستعمارية الماثلة في مخيلتهم فوق القرار وأنهم قادة العالم وحكامه كما لو كانوا في أيام استعمارهم العسكري .

فأمريكا تتدخل في شؤون دول أمريكا اللاتينية وتقتل وتعتقل من تشاء وتضرب مثلاً ليبيا بالقنابل عام 1986م وبريطانيا تكتسح الفوكلاند والاتحاد السوفيتي السابق يحتل افغانستان ويقتل مئات الألوف من الناس ويدمر البلاد ، ويهدد الدول المجاورة بحجة الدفاع عن أفغانستان ولم يعبأ بقرارات الأمم المتحدة حتى خرج بسياط المجاهدين .

وحينما سئلت « تاتشر » رئيسة الوزراء البريطانية السابقة ، لماذا لم تستصدر بريطانيا قراراً من مجلس الأمن في حرب فوكلاند ؟ فأجابت قائلة : « إن البريطانيين ليسوا عرباً » .

القرارات بين الضعفاء والأقوياء :

ثم إن قرارات مجلس الأمن تفرض على الدول الضعيفة ولا سيما الإسلامية منها ، كما تفرض على هذه الدول العقوبات الاقتصادية والتجارية والعسكرية ، والمقاطعة الدولية إذا لم تخضع لرغبة وهيمنة مجلس الأمن بل وتدرج أسماؤهم في قائمة الدول المساندة للإرهاب والمنتهكة لحقوق الإنسان .. الخ .. كما هو حال بعض الدول الإسلامية المعروفة للجميع ، أما الدول الكافرة والمحتلة لأراضي المسلمين والتي تحظى بمساندة وتأييد أعضاء مجلس الأمن الدائمين فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر عن مجلس الأمن ولا يفرض عليها أي عقوبات إلا صورياً ذراً للرماد في العيون بل هي في كثير من الأحيان تعربد يمنة ويسرة وتهزأ بقرارات المجلس « الموقر » دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي ، وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أي قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين .

فهذا الرئيس الصربي المجرم ، لما سأله بعض الصحفيين الأجانب عن مصير أكثر من (60) قراراً للمنظمة الدولية ، ولماذا لم ينفذها الصرب ، فالتفت إليهم المجرم ضاحكاً وقال : إننا غير مسؤولين عن تنفيذ هذه القرارات لأن صربيا تنفذ القرارات الصربية لا قرارات الأمم المتحدة ، وقال : لا توجد أي قوة ستحول بيننا وبين أهدافنا ، ولن يستطيع أحد أن يقف في وجه المصالح الصربية في يوغسلافيا، وأن الصرب مستعدون لمجابهة العالم كله في ذلك .

ومنذ أيام وقف رئيس وزراء العدو الصهيوني وقال : على العرب أن يعطوا الكثير من التنازلات والمرونة في محادثات السلام وعليهم أن ينسوا الأراضي الإسرائيلية ! والقدس تماماً ! لأنها صارت مسائل لا تقبل مناقشة ، وأن أي نقاش حولها إنما هو حديث في الوقت الضائع لن يقدم ولن يؤخر .. إلخ .

وخطب رئيس وزراء الهند يوم استقلال الهند وقال : إن كشمير جزء لا يتجزأ من الهند وإن أي كلام حول استقلالها أو تقرير مصيرها مجرد حلم باكستاني صعب المنال ، وعلى الكشميريين أن يدركوا أنهم هنود ، ومن أراد أن يكون باكستانياً فعليه مغادرة أراضي الهند ، يعني الأراضي الكشميرية .

أجوبة وتصريحات مليئة بالتحدي والغطرسة والصلف ، والسبب أنهم يعلمون أن قرارات مجلس الأمن حبر على ورق ، وأنها لا تنفذ عليهم بل يعلمون أن الدول الكبرى توافقهم بل وتساندهم وتشجعهم على ما يقومون به من احتلال وأعمال إجرامية وإلا فما معنى قول « كاراجيتش » زعيم صرب البوسنة ، وهو يتساءل

باستغراب ، « لماذا يتظاهر الجميع بذرف الدموع على البوسنة ؟ إن هؤلاء المتظاهرين بدموعهم يتحدثون إلينا في الغرف المغلقة بطريقة مختلفة ، وهذه الطريقة هي : إراحة الذبيحة وحد الشفرة ، وكيف تفسر سكوت الدول الكبرى على احتلال اسرائيل الأراضي الإسلامية العربية وإبعاد أهلها عنها ؟

دعني أسأل بريطانيا العظمى عما سيكون عليه موقفها لو أن فرنسا وألمانيا قامتا باقتطاع جزء من الأراضي البريطانية ، واعتبرت ذلك الجزء حزاماً أمنياً لها، دعني أسأل جميع أعضاء المجلس عما إذا كان ضم القدس المحتلة يختلف عن ضم النازية للنمسا .. إلخ .

على من تنفذ القرارات ؟

ثم أود أن أسأل أعضاء المجلس الدائمين : أرونا قراراً واحداً صدر عن مجلس الأمن في صالح المجتمع الإسلامي قد دخل حيز التنفيذ ؟

هناك أكثر من (63) قراراً دولياً في قضيةالبوسنة لم ينفذ منها قرار واحد وكأن الصرب يعرفون هذه الحقيقة فاستمروا في مذابحهم وجرائمهم في ظل الحماية الدولية ، وقد عبر عن هذا الواقع المرير وزير الخارجية البوسني في مؤتمر صحافي عقده في لندن بقوله « إن المنظمة العالمية عار على مجتمعنا المعاصروإننا سنقوم برفع الشكوى إلى المحكمة الدولية ضد هذه المنظمة الدولية العاجزة عن حماية شعبنا بل لمشاركتها في المجازر المرتكبة في البوسنة ، إن المنظمة الدولية سلبت منا الحق الأساسي في الحياة وحق الدفاع عن أنفسنا » .

اتخذ المجلس أكثر من مائة قرار لصالح القضية الفلسطينية أشهرها القرار « 242 » الذائع الصيت الذي أكاد أجزم أن الأوراق التي كتب عليها قد بليت فهل نفذ منها قرار واحد ؟

وفي قضية كمشير المسلمة اتخذ المجلس أكثر من 13 قراراً لم ينفذ منها قرارٌ واحدٌ ، بل لا يوجد أي دور للمجتمع الدولي في منع الجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال الهندوسي يومياً ضد شعب كشمير المسلم الأعزل .

المجلس يستجيب لمن ؟

وعندما دخلت قوات جورجيا إلى « أبخازيا » ووجه الأبخاز « 14 » نداء عاجلاً للأمين العام سعياً للتدخل الدولي حماية للأرواح البريئة ، لم تكلف الأمانة العامة نفسها مشقة الرد عليها ، عندها فطن الأبخاز إلى أنه لا قيمة للنداءات والذل والهوان والاعتماد على الآخرين فوحدوا جهودهم في ملاحقة العدو بشجاعة وبسالة ، ووقعت المفاجأة : « شيفرنادزة » بنفسه يقوم بنداء عاجل للأمين العام ، يرجوه فيه سرعة التدخل ، وجاء الرد في هذه المرة سريعاً ، فقد تم إرسال مبعوثي الأمم المتحدة الذين دعوا لاجتماع عاجل بين الطرفين ، وتم الاجتماع باتفاق على انسحاب الجورجيين من « سوخومي » لكن الاتفاق لم ينفذ ، وانتظر الأبخاز مصداقية الأمم المتحدة ، ولكن دون جدوى ، عندها خرجوا على قلب رجل واحد فحرروا عاصمتهم وإن أخرجوا منها بتدخل الروس ولكن إلى حين بإذن الله .

وفي جزر مورو يعاني ستة ملايين مسلم من الحصار المفروض عليهم من قبل قوات الصليبي راموس ، وفي طاجكستان يوجد أكثر من مائتي ألف مسلم شردهم الشيوعيون عبر الحدود الطاجيكية ، وفي باكو تحتل القوات الأرمينية النصرانية 20 في المائة من أراضي أذربيجان وتضع يدها على 38 مدينة آذرية وفي الصومال ولبنان .. مآس وأحزان ، ولا وجود لمجلس الأمن .

الحقيقة أننا نحن المسلمين نبالغ في حسن الظن بمجلس الأمن عندما نلجأ إليه، ونتوقع منه أن ينظر إلى قضايانا بعين العطف والرحمة أو على الأقل بعين العدل والإنصاف .

حقيقة يجب أن نعيها :

وتغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة وهي : أن المجلس عبارة عن التكتل اليهودي (أمريكا) النصراني (بريطانيا وفرنسا) الشيوعي (روسيا والصين) ، فهل يرجى للمسلمين خير من هؤلاء ؟ أليس هؤلاء هم أعداؤنا ، أليس الله قد حذرنا منهم ومن والاعتماد عليهم وموالاتهم ؟ ألم يخبرنا الله تعالى وهو أصدق القائلين لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا فكيف نأمل الخير ممن حذرنا الله منهم .

هل نتوقع مناصرة قضايانا ممن زرعوا النبتة الخبيثة (اسرائيل) في قلب العالم الإسلامي ؟ أم نتوقع ذلك من روسيا وهي التي لطخت يديها بدماءالمسلمين الأبرياء في دول آسيا الوسطى وأفغانستان وهي التي تزود إسرائيل باليهود والأيدي الفنية الماهرة ، وتزود مجرمي الصرب بالأسلحة ضد مسلمي البوسنة العزل .

أما فرنسا فلها موقفها من قضايا المسلمين بعامة ومن قضية البوسنة بخاصة فعندما قام ميتران بزيارته المشبوهة (لسراييفو) قال للرئيس المسلم علي عزت : « ليكن في علمك بوضوح أن فرنسا لن تسمح مطلقاً بوجود دولة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون » .

وقد عبر نائب الرئيس البوسني أيوب غانيتش عن موقف الأوروبيين من قضية بلاده ، فقال : إن أوروبا أظهرت وجهها الحقيقي ، وإن تدمير البوسنة وفناء أهلها سيكون على يد أوروبا وليس على يد الصرب فقط .

فهل نأمل مناصرة قضايا المسلمين من هذه الدول ، أم نأمل ذلك من الصين العضو الخامس في المجلس وهي التي لا زالت تستعمر تركستان الشرقية وتعمل التقتيل والتهجير حيال المسلمين هناك وتزود مجرمي الصرب بالأسلحة والمعدات .

هذه بركات بطرس !

هل نتوقع الخير بل الحياد من بطرس غالي الذي يمتلئ قلبه حقداً على الإسلام والمسلمين والذي يفتقد لروح المبادرة الإنسانية والشجاعة السياسية في ممارسة مهامه ومنصبه ؟ فقد تطوع في أول مؤتمر صحفي يعقده بعد اختياره لمنصبه بأن أعلن أن القرار 242 غير ملزم لإسرائيل ، وقد سبق في دراسة منشورة له أن قال بعدم إلزامية ذلك القرار ، ولم يكن ذلك التصريح المدهش سوى بداية لمسلسل من المواقف العفنة والمعادية للمسلمين ، وهي مواقف أثارت كثيراً من الاستنكار حتى في وسائل الإعلام الغربية ، ومن هذه المواقف :

الضغط على مسلمي قبرص دون اليونانيين والنصارى .

تجاهلها المتعمد لقضايا المسلمين الملحة كفلسطين وكشمير وبورما وأبخازيا وغيرها .

وأما موقفه من الحرب المسلطة على المسلمين في البوسنة ، فقد كان موقفاً متخاذلاً بل متواطئاً مع الجزارين الصرب ضد المسلمين ، فقد دعا الصرب والغرب في بداية الحرب أن يحكموا الحصار حول البوسنة حتى لا يدخل إليها المجاهدون المسلمون للدفاع عن إخوانهم فتتحول البوسنة إلي أفغانستان أخرى ثم عندما طلب منه التدخل لوقف المذابح الصربية أجاب قائلاً : هذه حرب الأثرياء وليس عندنا مال ، ثم فيما بعد أصر على أن لا يكون لقوات الأمم المتحدة أي دور في حماية شعب البوسنة وموقفه هذا قد انتقد حتى من بعض الغربيين فقد وصفته « كيرك باتريك » السفيرة الأمريكية السابقة في الأمم المتحدة بقولها (إنه شخص قصير النظر وتصرفاته غير إنسانية لأنه لم يعلن الحرب دفاعاً عن البوسنة) ، وقد كتبت عنه ست مقالات طويلة اتهمته فيها بأنه (المسؤول الوحيد عن إبادة الشعب البوسني المسلم وسيأتي يوم يقدم فيه الحساب الطويل أمام العالم عن تواطئه مع الصرب) ،

أما مهازل المناطق (غير الآمنة) والتي تسمى زوراً بالآمنة فهي سخرية كل من لديه أدنى ذرة من ضمير .

ماذا فعل الوسيط وقوات هيئة الأمم ؟

مأساة المنظمة الدولية في البوسنة لا تنتهي عند هذا الحد بل كان من أكبر مآسيها وسيطها « ديفيد أوين » البريطاني الذي صمم تصميماً صربياً ، وتقول عنه زوجة السفاح « سلوبودان » رئيس صربيا (إن أوين أحد أفراد عائلتنا فهو دائماً معنا ... في كل مرة يزور بلجراد ينزل ضيفاً على بيتنا .. يأكل ويشرب معنا ... وكانت مهمته إيجاد تصفية عادلة محايدة للحرب كوسيط دولي ولكن المهمة الحقيقة التي قام بها ويقوم بها هي تقطيع أوصال البوسنة كما وصفه مذيع « بي بي سي » وعلق الصحفي الانجليزي « جون سويني » على خارطة أوين لتقسيم الجمهورية المنكوبة بقوله (أما أوين فإنه يجلس بابتسامته الذئبية ، ويتوسط لتقطيع البوسنة ... هذا للصرب .. وهذا للكروات .. والفتات للمسلمين) ، يقول ذلك الوسيط الدولي المزعوم : (إن مسألة الضربات الجوية الغربية ضد الصرب هي خدعة بشكل أو بآخر ... وإن دور الأمم المتحدة هناك ينطوي على أكثر من خدعة) قالها بسهولة وكأن البشرية كلها لا قيمة لها عنده .

ويأتي بعد هذا دور القوات الأممية التي أرسلت إلى هناك لتؤمن الخائفين وتدافع عن المظلومين وتستر عورات المضطهدين إلى آخر مصطلحات الرحمة وحماية الإنسان التي ترفع لواءها قوات الأمم المتحدة في كل مكان ، فماذا فعلت هذه القوات ؟

ذكرت صحيفة « الجارديان » الصادرة في 28 اغسطس 1993م عدداً من تهم الفساد الموجهة إلى جنود الأمم المتحدة في سراييفو وأخطر هذه التهم أن هذه القوات تقوم بالمتاجرة بالمخدرات وتهريبها ، وقال المراسل : إن الجنود الفرنسيين الذين يعملون تحت قيادة الأمم المتحدة يقومون بعمليات اغتصاب واسعة ضد المسلمات ، وأنهم كانوا يعطون الصرب شحنات الأغذية والأدوية مقابل إعطائهم نساء مسلمات بوسنيات من المعتقلات لاغتصابهن .

وقال مراسل « الديلي تلغراف » : إن ضباطاً كباراً من الأمم المتحدة هم الذين كانوا يشرفون على أسواق الدعارة في البوسنة . وذكرت « نيويورك نيوز » الصادرة في 17/5/1414 هـ ، أن أكثر من خمسين ضابطاً من فرنسا وكندا وأكرانيا ونيوزيلندة ودولة افريقية لم يذكر اسمها كانوا يترددون على معتقل يديره الصرب يعج بالأسيرات من النساء المسلمات اللاتي أجبرن على ممارسة البغاء .

هذه بعض أعمال وجرائم ذوي القبعات الزرقاء ، لكن السؤال : من يتولى التحقيق في ذلك إذا كان الخصم هو الحكم ؟

آخر مهازل المنظمة :

وتأتي بعد هذا آخر مهازل المنظمة الدولية في اختيار هيئة المحكمة الدولية لمحاكمة مجرمي الصرب على جرائم الحرب وكانت المفاجأة ، فقد تم استبعاد أي قاض مسلم من عضوية المحكمة المذكورة ، أما الأكثر غرابة فهو اختيار قاض هندوسي من ماليزيا التي يشكل المسلمون فيها أكثر من 70 % من سكانها واختيار قاض نصراني من مصر التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن 92% في المائة واختيار قاض زرادشتي من باكستان التي تزيد نسبة المسلمين فيها عن 90 % .

والمضحك أن المجرمين الذين سيحاكمون أمام المحكمة مطلقون ويستقبلون استقبال الأبطال والقادة في لندن وباريس ونيويورك وواشنطن وجنيف ، والأخطر من هذا كله أن الدول العظمى الأعضاء في مجلس الأمن التي طالبت كثيراً بتأسيس هذه المحكمة تتراجع الآن عن تقديم زعماء الصرب للمحاكمة باعتبار أن جلوسهم

إلى مائدة المفاوضات يشفع لهم ، أما محاكمتهم فتعرقل مسيرة السلام .

إن المرء يقف حائراً أمام تصرفات هذه المنظمة التي تكيل بمكيالين وتزن بميزانين فهي لا تحب نصرة المسلمين أو حتى السماح للآخرين بمساعدتهم أو حتى حمايتهم أو حتى حماية الأبرياء منهم لكن عندما يكون الأمر متعلقاً ببعض الجنود غير المسلمين فيظهر الوجه الآخر للمنظمة الدولية فتقلق وتحزن على بضعة جنود أسبان ولا تتأثر على تقتيل مئات الآلاف من المسلمين وتشريدهم وتهجيرهم واغتصاب نسائهم ونهب ممتلكاتهم .

إن هذا الشعور الذي ينتابنا نحو هذه المنظمة وسكرتيرها يجعلنا نكرر ونرفع صوتنا مع الكاتب الذي يقول : (إن عالمنا مليء بالأكاذيب وإن هيئة الأمم وميثاق حقوق الإنسان كذب في كذب وحماية الشعوب من التفرقة العنصرية كذب في كذب وحماية الدول من الإعتداء هو كذب في كذب) ، وكذلك نكرر مع الرئيس علي عزت (إن الغرب حينما يتعلق الأمر بالإسلام مستعد لأن يخون مبادئه وقيمه التي ينادي بها) .

الحقيقة الغائبة :

إن الحقيقة الناصعة التي لا تحتاج إلي إثبات هي أن قضايانا لن يحلها أحد سوانا (وما حك جلدك مثل ظفرك) وإن أمة لا تملك الدفاع عن نفسها لا تستحق الحياة والبقاء ، والحقيقة أن ما اغتصب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، ذلكم هو المنطق البدهي الذي تشهد له حقائق التاريخ الإنساني قديماً وحديثاً ، فلولا ذلك لما خرج الرومان من العالم العربي في عصر الفتوحات ولما طرد المسلمون الصليبيين المعتدين الغزاة من أراضيهم ، ولما غادرت فرنسا الجزائر وأمريكا فيتنام وروسيا افغانستان .

لكن إلى متى نظل نتشبث بمجلس الأمن ؟ وإلي متى نبقى مخدوعين بـ « المجتمع الدولي » ؟ إن شرور اليهود والهندوس والصليبيين والشيوعيين واعتداءاتهم على المسلمين لن تقهرها « شرعية دولية » ولا قرارات شجب وإدانة واستنكار ، وإنما تهزمها وحدة المسلمين واتفاقهم وقوتهم وتفوقهم التقني والعلمي والعسكري ، والاتحاد والتعاون فيما بينهم في كل المجالات ولا سيما المجالات الدفاعية والعسكرية .

والله من وراء القصد..

المسلمون والعالم

جهودهم .. وجهودنا
في عصر السلام .. !

عبدالعزيز بن محمد الخضر

إن جميع أخطاء الماضي التي لها أكثر من قرن ، لم تكن إلا تراكمات مع الزمن لإنشاء جيل أو أكثر تشرّب الهزيمة واعتاد الذل بعد أن تحولت قابلية الاستعمار لديه إلى مرض مزمن لم تتخلص منه إلا نوعية محدودة مع أنها لا تخلو من بعض الآثار هنا أو هناك .

أخطاء الماضي .. ومحررو السياسة العربية :

إذا كان لديك ذاكرة وكنت ممن يتابع تنظيرات الإعلام العربي السياسية عن طريق كتابات بعض الكتاب إياهم ، فإنك ستلاحظ مدى تحولات الأفكار لديهم ،

وهذه التحولات تتأثر باتجاه الريح السياسية ، إذ لديها حساسية الاستشعار عن بعد وعن قرب ، إذ فن التبرير والإقناع وادعاء الواقعية وغيرها أساليب سهلة لمن يمارسها على مدى أكثر من عشرين عاماً .

إنك لا شك ستلاحظ على كتاباتهم ادعاء الموضوعية والواقعية ، وأنهم هم النخبة المثقفة في المجتمعات العربية ، وأما نقد العقلية العربية ، والمجتمعات العربية ، والسياسات العربية ، وأخطاء الماضي .. فهم يخرجون أنفسهم منها مع أنهم هم الذين ساعدوا في تشكيل العقلية العربية ، والسياسات العنترية .

فهم من أكبر أسباب النكسات العربية ، ومع هذا فإنك لا تكاد تجد أحدهم يقول أو يحاول أن يعترف بأخطاء الماضي ولو بالتلميح ، إذ ليس المهم لديهم أن تحل هذه القضية أو تلك ! إنما المهم هو أن يكتب في زاويته كل صباح أو كل أسبوع ما يسود ذلك الحيز ، وبعضهم يجعلك تفهم أنه سبق له نقد ماضي السياسة والعقلية العربية لكن أحداً لم يسمعه .

ما أسهل أن يسحبوا آراءهم السابقة ثم يتهموا بها الآخرين ، فعندما سقطت الشيوعية غير مأسوف عليها ، بدأت التنظيرات والتحليلات لأسباب السقوط وخلفياته ، ونقد الأيديولوجية التي قامت عليها ، هذا رأيهم الآن وهم يعتبرون أنفسهم النخبة المثقفة ذات النظرة البعيدة .. فأين هذه الآراء قبل أكثر من عشر سنوات ؟!

أليس من السهل أن تنقد مخلفات الفكر بعد وضعها في زبالة التاريخ ؟ ! أين الثبات على المبدأ ؟ أين الأسس العلمية والموضوعية ؟ أين الصدق ؟ أين الشجاعة في الرجوع عن الخطأ أمام الملأ ؟ أين الإخلاص في حل المشكلات ؟

هذا الكلام مقدمة للحديث عن أهم قضايا أمتنا الإسلامية التي يحاول الإعلام ومحررو السياسة العربية أزاحة أخطاء الماضي حيالها على الآخرين واتهامهم بها ، ليدفع الجميع في مجتمعاتنا الإسلامية ثمن السلام ، كما دفعوا ثمن الحرب .

قضية فلسطين .. القدس .. أولاً :

إن المتأمل لواقع العالم الإسلامي ومشكلاته سيلاحظ أن القضية الفلسطينية هي محور نكسات هذا القرن ، وقُبيل الحديث عن هذه القضية أشير إلى ملحوظة سلبية يجب أن يُتنبه لها وهي مسألة الحماس الوقتي المحدود الذي يبدأ بالانطفاء تدريجياً بعد الحدث إلى أن يتلاشى ، فتصبح اهتماماتنا بقضايا الأمة على شكل موجات ذات قمة وقاع ، فما أن يبدأ الخط البياني بالارتفاع إلا ويسقط بنفس السرعة .. ولو أن كل قضية نتعامل ونتفاعل معها نسبياً تبعاً لأهميتها في حياة الأمة ومصيرها ، مع السماح للتغيرات الطفيفة في التعامل والحماس للطبيعة البشرية .

لقد كان أمراً مؤسفاً أن يسألني أحدهم عن كتاب متكامل يعطيه التصور الشرعي والواقعي للقضية الفلسطينية والأحداث التي مرت بها ، يعطيه النظرة المستقبلية لأهم قضايا الأمة ثم لا أستطيع الإجابة .. !

لا أنكر أن هناك كثير من الكتب التي اهتمت بهذه القضية من منظور إسلامي، ولكن غالباً يلاحظ عليها الاهتمام بجانب دون آخر ، ومع هذا فهي محدودة الانتشار والشيء الذي لا نستطيع نفيه أنه لوحظ إهمال كبيرمن الدعاة والمثقفين الإسلاميين بهذه القضية في السنوات الماضية ، حتى أفقنا على مثل هذه المؤامرات والمواقف ، وكثير من فئات المجتمع الإسلامي ليس لديها الوعي الكافي بمثل هذه القضية ، سوى بعض المشاعر والعواطف القابلة للهدم بتأثير إعلامي منظم ، عندها نحتاج إلى سنوات عديدة لإعادة بناء الوعي والمشاعر إذ الهدم أسهل من البناء ، ولو كان هناك اهتمام منظم من المثقفين والدعاة في أنحاء العالم الإسلامي ، وتعاون مع دور النشر للوصول إلى جميع شرائح المجتمع ، لأصبحت مضادات حيوية لهذه

المؤثرات الإعلامية ، ويكفي لرؤية هذا الخلل أننا وجدنا كثيراً من الفئات في المجتمع الإسلامي اقتنعت بأفكار السلام بعد أن كنا نراه مستحيلاً قبل سنوات !

نعم لقد خسرنا الشيء الكثير حتى حماس الجماهير وعواطفها ، بمجرد التخدير الإعلامي لعدة شهور !

لذا يجب أن يكون لدينا الاهتمام المتوازن في كل قضية إسلامية ، ولا يتعارض هذا مع الاهتمامات التأصيلية للعلم الشرعي للخاصة والعامة ، وتوعية الجماهير ، ولا يليق أن تضيع الأمة بجمود بحجة العلم الشرعي ، أو هامشية بحجة الاهتمام بالواقع .

جهود وتبريرات :

لقد تركزت الجهود الإعلامية المختلفة في الفترة الماضية منذ مؤتمر مدريد على محاولة إقناع جميع الشرائح في المجتمع العربي والإسلامي بحتمية هذا الحل ، وأنه لا يمكن أن يوجد هناك حل آخر ، وللوصول إلى هذا الهدف اتبعت أساليب عدة كتغيير الصيغة الإخبارية وتحليلاتها تدريجياً فيما يتعلق بهذه القضية وتركيز الاهتمام بالأخبار التي تشجع تقدم خطوات السلام ، ومحاولة تهميش الأخبار المؤثرة على عملية السلام ، إضافة إلى كم هائل من المقالات والأعمدة الصحفية المختلفة للكتاب الذين ينظرون لهذه الخطوات بطرق مختلفة .

ويلاحظ المتتبع في الفترة الماضية لأكثر الآراء المختلفة المؤيدة والمعارضة بمختلف توجهاتها التي طرحت عبر منابر إعلامية متعددة وفقاً لتوجهها العام ، أن هناك محاور عدة يحاوَل من خلالها اقناع الطرف الآخر .

وقبل أن أستعرض تلك الآراء التي طرحت ، أو أن أشير بكل أسف إلى تفوق الطرح العلماني ، وجهود محرري السياسة العربية في التنظير لهذه القضية لإقناع المتابع العربي ، أو محاولة تخديره ، وإن كان هذا التفوق ناتج عن التفوق الإعلامي في الوسائل ، إلا أن هناك بعض النقاط والتساؤلات التي طرحها هذا التوجه بعمق وموضوعية

-مدعين- يوهمان المتابع البسيط الاقتناع بهذه الآراء حيث يلاحظ ابتعادهم عن الطرح العاطفي ، مع محاولتهم إشعار الآخرين بالموضوعية والواقعية ، مع رمي المعارضين من كل التوجهات ببعض الكلمات والتعبيرات ، وجعلهم جبهة واحدة ، مع اتهامهم بعدم الواقعية وأنهم مازالوا يعيشون مرحلة الشعارات .

أما الطرح الإسلامي لقضية السلام ، فإنه وللأسف لايزال دون مستوى الأحداث ، إذ كل الطرح الذي تم في الفترة الماضية من قبل الإسلاميين لايزال طغيان العاطفة مؤثراً فيه تأثيراً كبيراً ، وكثيراً ما تركز الهجوم فيه على قادة عملية السلام ، مع بكاء ورثاء الواقع ، وتذكر التاريخ واستعمال العموميات بعيداً عن مناقشة تعقيدات الأحداث ، وفضح المبررات التي يطرحها المؤيدون .

حيل لإقناع الآخرين :

لقد كانت الآراء التي تؤيد عملية السلام تدور محاورها حول نقاط محددة ومن خلالها استطاعت اختراق العقلية العربية وإقناعها بحتمية هذا الحل ، ويمكن بالاستقراء تحديد تلك النقاط باختصار كالتالي :

1- أن الأوضاع العربية لا يمكنها في الوقت الحالي مواجهة إسرائيل ومعارضتها ، فهي في ضعف اقتصادي كبير ، ومشاكل داخلية متعددة إضافة إلى الضعف العسكري والعداوات فيما بين الدول العربية نفسها .

2- يجب استغلال هذه الفرصة لتفريغ مجتمعاتنا للتطوير والتنمية التي تحتاجها بدلاً من الدخول في حروب استنزاف تئد برامج التنمية المختلفة .

3- إنتهاج مبدأ » خذ وطالب .. « ومن خلاله نتدرج في استرداد الحقوق

خطوة خطوة ، بدلاً من أن نخسر كل شيء ، ولو أننا قبلنا بالتقسيمات السابقة باتباع هذا الأسلوب لكنا حافظنا على مكتسبات كبيرة .

4- أنه تم تجريب الحلول التي يريدها المعارضون عن طريق استرجاع الحقوق بالقوة وعدم التنازل عن أي شيء ، فكانت النتيجة أن وصلنا إلى هذه الحالة.

5- التحول الجيد في العقلية العربية في التفاوض والمحاورة الواقعية بعيداً عن الأحلام ، والتخلص من قضية رفع الشعارات والسياسات العنترية باسم تحرير المقدسات التي استغلتها قيادات عربية لتبرير أخطائها المتعددة .

6- كسب بعض الشيء أحسن من أن نخسر كل شيء نتيجة لأوضاعنا الحالية .

7- وضع هوية ودولة للفلسطينيين يكون من خلالها تكوين الذات لاسترداد الحقوق مستقبلاً ، وجعلهم يواجهون تحديات المستقبل بأنفسهم .

8- تكرار إلقاء سؤال : ما هو الحل البديل ؟ وكيف أيها المعارضون ؟ ومن خلاله يتم اتهام المعارضين بعدم وجود حل لديهم ، وأنهم مازالوا يعيشون الأوهام السابقة ، وبعدهم عن النظرة الواقعية والموضوعية .

تلك بعض المبررات أو الحيل التي استعملت لإقناع الآخرين ، والتي أثمرت عن اقتناع قطاع عريض في المجتمع الإسلامي ، بل حتى المعارضون ممن لهم النظرة الإسلامية وبخاصة من ذوي الثقافة السطحية أصبح ليس لديهم إلا العاطفة الحارة لمواجهة مثل هذه المبررات ، حيث يلاحظ عدم قدرتهم على مواجهة المبررات بذاتها والمحاورة حولها ، وهذا الأمر له خطورته ، إذ كيف تتم المحافظة على هذه الفئة التي لم تتلوث بأفكار السلام ؟ ثم كيف نحاول إقناع الذين آمنوا بحتمية هذا الحل إذا كنا لا نحاول الرد عليها وفضح هذا التوجه ؟ !

تهافت التبريرات :

من السهل جداً أن ترد على هذه المبررات إذا كان لديك علم شرعي وثقافة واسعة وفهم عميق للواقع ، ولكن من الخطأ أن نظن أن قطاعاً عريضاً يمكن أن يكون لديهم هذه المقدرة ، ويمكننا هنا أن نستعرض بعض المبررات التي يتمسك بها من يعارض عملية السلام من أصحاب النظرة الإسلامية والمتمثلة فيما يلي :

1- خيانة القضية باعتبارها قضية دين أو عقيدة ، لأن الاعتراف للعدو بحق الوجود على أرض فلسطين لا يمكن أن يقابله أي شئ ، فكيف إذا كانت بنود السلام مجحفة وفيها ظلم واضح ؟!

2- أن الطبيعة اليهودية من الوحي ومن التاريخ ومن الواقع تثبت أنها لا يمكن أن تلتزم بالمواثيق والعهود .

3- من أهم الأفكار التي تقوم عليها عمليات السلام ، الوقوف في وجه الأصولية الإسلامية ومحاربتها والتضييق عليها ، باسم معارضتهم لأفكار السلام !

4- خطورة الأمور التي ستحدث مستقبلاً ، كعمليات التطبيع التي سينتج عنها اختراق كبير لمجتمعاتنا العربية والإسلامية في النواحي الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها .

5- أن تجارب الحروب والمواجهات السابقة لم تكن إلا من قيادات القومية العربية ، وكان طبيعياً أن تفشل ، أما حركات الجهاد الفعلي فإنها قادرة على تحقيق نتائج لولا إعاقات وخيانات بعض النظم العربية .

6- بقاء القضية معلقة الآن ، أفضل من أن تحل بمثل هذه الحلول التي ستدفع ثمنها الأجيال القادمة .

تلك بعض المبررات وليس كلها التي يطرحها المعارضون لفكرة السلام مع اليهود ، وأعرف أن هناك أسباباً كثيرة غيرها تجعل من السلام الذي وصلنا إليه

واقعة حرجة للأمة تجمعت فيها أخطاء وخيانات الماضي والحاضر .
ما دورنا .. ؟ !
تُرى هل تكفي عبارات الشتم والتنديد ، وتأجيج العواطف ، وبكاء ورثاء الواقع للتخفيف من آثار المصيبة ؟ !
بنظرة موضوعية ونقدية لذواتنا نجد أننا لا نزال بعيدين عن مستوى الحدث إذ لاتزال عشوائية الطرح البعيدة عن التنظيم فيما يخص هذه القضية ، فكل ما تم في الفترة الماضية فقط جهود فردية هنا وهناك ، من بعض الكتاب والخطباء والمحاضرين ، التي ينقصها أيضاً الشمولية في الطرح ، فكل جهد منها أجاد في معالجة زاوية من زوايا المشكلة .
إن استمرارنا في معالجة هذه القضية بهذه الطريقة ، دون تخطيط وتأمل ودراسة مستقبلية للوضع ، قد يجعلنا أمام مستقبل مظلم في ظل هذه الأوضاع حتى أصبحت تلك القضية التي نتمسك بها في معارضة السلام تحشرنا في التصنيف مع آخرين من معارضي السلام من متطرفي اليهود والإسلام الإيراني وحثالة المتاجرين بالقضية .. !
وحتى الآن ليس لدينا فكرة متكاملة لمواجهة الوضع الذي لم نُستشر فيه وما هي البرامج التي يمكن أن نسير عليها للتخفيف من آثار تلك المصيبة .

وهنا اقتراحان يمكن البدء بهما :

*تنسيق الجهود بين مراكز وهيئات إسلامية مختلفة في أنحاء العالم لوضع برامج عملية يمكن تطبيقها في الواقع لمواجهة تحديات المستقبل القريب .
*قيام مبادرات خاصة من أي جهة إسلامية لتخصيص لجان تهتم بهذا الشأن ، وعقد ندوات متعددة تُستقطب فيها أعداد كبيرة من العلماء والمتخصصين في الشؤون الإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وأعرف أن هناك اقتراحات كثيرة يمكن إيجادها في هذا الشأن ، إلا أنه تبقى مشكلة من يُعلق الجرس ، ومن يبدأ .. ؟ ! لأن مثل هذه الاقتراحات تتكرر ويكثر الحديث حولها ، بل سنجد من يقول إن قيام أي مؤتمرات وندوات في هذه القضية سينتج كماً هائلاً من التوصيات التي لن ترى طريق النور .. ! !
تلك مشكلة من مشكلاتنا الكثيرة التي نعاني منها ، وأتوقف هنا عن الاستطراد حولها .
ومع هذا وبافتراض عدم قيام تلك الاقتراحات الجماعية في عالم الواقع فإنه يمكن أن تكون هناك جهود فردية منظمة هنا وهناك ، يمكن من خلالها نشر وعي متكامل حول هذه القضية ، فبإمكان أي جهة إعلامية إسلامية أن تستقطب الكتاب للحديث في هذا الشأن ، وأن نقوم بإصدار كتيبات على شكل سلسلة من الإصدارات تعالج القضية من جوانب مختلفة .
ويمكن كذلك لخطيب الجمعة بدلاً من أن يطرح القضية كلها بحماس وعاطفة في خطبة أو خطبتين ، ثم يترك الحديث عنها لسنوات يمكن أن يكون لديه تخطيط مستقبلي في معاجة القضية وطرح متكامل على شكل سلسلة من الخطب تمتد لسنوات ، حيث يتطرق لهذا الموضوع كل أربع شهور مثلاً ، يجمع خلالها معلومات متنوعة وتعليقات ونظرات مستقبلية .
ويمكن لأي جهد شخصي نقوم به ، أن نفكر جيداً قبل القيام به ، حتى لا يحصل هناك تكرار في الطرح لأفكار ومواضيع محددة ، وتهمل جوانب أخرى ويمكن عن طريق اللقاءات المباشرة مع العلماء ، وأساتذة الجامعات والمتخصصين حثهم على التطرق والاهتمام بمثل هذه الموضوعات وعدم نسيانها .
أشياء كثيرة يمكن عملها ، لو صدقنا مع الله وابتعدنا عن تلك السلبية التي

نعيشها في حياتنا .

المسلمون والعالم

الإسلام في زيمبابوي
ماضيه وحاضره ومستقبله

عمر بيري

تقع دولة « زيمبابوي » في جنوب إفريقيا ، ويحدها من الشمال جمهورية زامبيا ، ومن الجنوب جمهورية جنوب إفريقيا ، ومن الشرق دولة موزنبيق ومن الغرب جمهورية بوتسوانا ، ويبلغ عدد سكان زيمبابوي حوالي عشرة ملايين نسمة، والمسلمون يقلون عن نسبة 1% من هذا التعداد ، حيث يبلغ عددهم حوالي ثمانين ألف نسمة ، ويعتمد اقتصاد زيمبابوي على الزراعة في المقام الأول ثم التعدين والتصنيع .

استقلت زيمبابوي عن الاستعمار البريطاني عام 1980م ، بعد قرن من الاستعمار ، وذلك بعد حرب دامت أكثر من عشرين عاماً ، وكانت المسيحية هي الديانة الرسمية في أيام الاستعمار ، إلا أن الحالة تغيرت بعد الاستقلال ، إذ ينص دستور زيمبابوي على حرية الاعتقاد ، وبناء على ذلك يتمتع المسلمون بحرية كاملة حيث لا يوجد أي عائق من ناحية الحكومة في طريقة نشر الإسلام .

دخول الإسلام في زيمبابوي :

دخل الإسلام في زيمبابوي على مرحلتين : المرحلة الأولى كانت قبل مجيء الأوربيين إلى زيمبابوي ، حيث قامت علاقات تجارية بين العرب المسلمين الذين دخلوا المنطقة عن طريق الساحل الشرقي من موزمبين ، وكان هؤلاء المسلمون يتاجرون مع قبيلة تعرف باسم « الواريمبا » التي تقيم في إقليم « ماسوينجو » جنوب شرق زيمبابوي ، هذه القبيلة أسلمت في ذلك الوقت ولكن لأسباب لا تعرف انقطعت العلاقات التجارية بين الواريمبا والعرب ، مما أدى إلى ابتعاد الواريمبا عن الإسلام ، إلى أن بقيت بعض التعاليم الإسلامية عندهم متضائلة جداً ، واعتبروها تقاليد خاصة بقبيلتهم .

من هذه التعاليم الإسلامية التي بقيت عندهم : عدم أكل لحم الخنزير واللحوم التي يذبحها غيرهم ، ولا يتزوجون أحداً من خارج القبيلة ، وعند الذبح يقولون البسملة بطريقة محرفة ، وبقي عندهم الختان أيضاً ، وكان الشاب يعلم سورة الفاتحة بطريقة محرفة بعد الختان ، وكانت هذه السورة تعتبر سراً من أسرار القبيلة ، وكانوا يحيون بعضهم بعضاً بالتحية الإسلامية ، أي السلام عليكم .

وقد اكتشف المسلمون هذه القبيلة في أوائل السبعينات ، وأسلم أغلبهم ويبذل حالياً الدعاة جهدهم لإعادة إسلام هؤلاء الإخوة الذين ضلوا .

أما المرحلة الثانية لدخول الإسلام في زيمبابوي فذلك كان مع مجيء الاستعمار ، لقد أتت الحكومة الاستعمارية بالهنود باعتبارهم موظفين إداريين إلى زيمبابوي ، وكان معظمهم بحمد الله مسلمين ، ونظراً لأن السكان المحليين ما كانوا معتادين على العمل في المزارع والمناجم مقابل راتب ، إذ كانوا يفضلون أن يعملوا في مزارعهم الخاصة ، ونظراً لكل ذلك وللحاجة إلى الأيدي العاملة اضطر المستوطنون إلى جلب العمالة من « ملاوي » و « موزمبيق » ، وكان بحمد الله وتوفيقه معظم هؤلاء مسلمين .

وهكذا يمكن تقسيم المسلمين في زيمبابوي إلى ثلاث فئات ، وهم :
1- مسلمون ذوو الأصول الآسيوية (منهم الملونون) .
2- مسلمون ذوو الأصول الملاوية (وهم أغلبية الفئات) .
3- مسلمون محليون (الواريمبا وغيرهم الذين يسلمون هذه الأيام) .

بحكم أسباب هجرة المسلمين إلى زيمبابوي يتواجد المسلمون في المدن الرئيسة ومناطق التعدين والزراعة ، وفي الريف بالنسبة للمسلمين المحليين (الواريمبا) ، فالمسلمون الآسيويون يحترفون التجارة بينما نجد الملاويين يعملون في المزارع والمناجم ، ومنهم من يحترف الحياكة .

حالياً يوجد معهد إسلامي واحد في العاصمة يعرف باسم « اقرأ دار العلم » ، ويشرف عليه مجلس العلماء ، ولكن يوجد ما يشبه نظام الخلاوي في كل مسجد ، حيث يتلقى التلاميذ دروسهم الإسلامية بعد الدوام المدرسي ، أي بعد صلاة العصر .

المستقبل للإسلام :

إن مستقبل الإسلام في زيمبابوي مبشر جداً نظراً للحرية الدينية التي هي حق دستوري ، ونظراً لأن الحكومة لم تضع أي عقبات أمام الدعوة الإسلامية فهي تعامل المسلمين كأي مواطن من غير فرق ، وكلما تقدموا بطلبات سواء أكانت لبناء مسجد أو غير ذلك ، وجدوا استجابة جيدة .

ومن الأمور التي تبشر بمستقبل زاهر للإسلام في زيمبابوي سأم غير المسلمين من النصرانية لعلاقتها بالاستعمار ، ورغبتهم الشديدة في شيء جديد والإسلام بالنسبة لهم جديد .

نظراً لهذه العوامل يجب على المهتمين بالدعوة أن يستغلوا فرصة تسامح الحكومة لصالح الإسلام ، وأن يعملوا على زيادة عدد المسلمين ، وعلى رفع مستوى المسلمين المعيشي ، والثقافي ، والتعليمي ، مما قد يمكنهم من احتلال مراكز حساسة في الدولة ، ويمكن أن يتم ذلك إذا اعتبرت المقترحات الآتية :

1- التعليم :

* تأسيس مدارس إسلامية ذات نظام مزدوج ، حيث يجمع الطالب بين التعليم الإسلامي (الديني) والتعليم الأكاديمي ، وهذه المدارس يمكن أن تقام في مناطق الواريمبا (إقليم ماسونجو) ، وفي كوبكوي ، والعاصمة هراري ، وبلاوايو ، ونحبذ لو كانت هذه المدارس داخلية كلها ، أو بعضها حتى نتمكن من استقبال طلاب من مناطق مختلفة .

* تأسيس معاهد تجارية مهنية تقدم برامج في مجالات مختلفة مثل : السكرتارية ، والمحاسبة ، والتجارة ، والإدارة ، والمهن الأخرى مثل : الكهرباء ، وميكانيكا السيارات ، والنجارة ، وغير ذلك ، ويسمح لهذه المعاهد أن تقدم التعليم الأكاديمي أيضاً .

2- المشاريع التنموية :

بما أن معظم المسلمين فقراء ، أعتقد أنه لو أتيحت لهم فرص لعمل مشاريع تنموية ، وقدمت لهم المساعدات اللازمة ، قد يرفع ذلك من مستواهم المعيشي ، ويكون لذلك أثر ملموس في سير الدعوة الإسلامية في زيمبابوي وكما سبقت الإشارة ومعظم المسلمين الفقراء يجيدون الحياكة ، فلوعملت لهم جمعيات تعاونية في هذا المجال فلا شك أن ذلك سينفعهم ، ومنهم من يجيد البناء ، والتجارة ، والزراعة ، ومجالات تجارية أخرى .

3- برامج الدعوة الإسلامية والتوعية :

يلاحظ أن أحد أسباب قلة عدد المسلمين في زيمبابوي أن المسلمين لم يبذلوا

جهداً كبيراً في الدعوة الإسلامية ، بل قصروا مجهودهم على أنفسهم وذويهم ، لذا فقد يجد الواحد أن العامة من غير المسلمين ربما لم يسمعوا قط عن الإسلام ، وبالتالي أرى ضرورة تنفيذ برامج الدعوة وتكثيفها ، من خلال استغلال الوسائل المتاحة من الأجهزة الإعلامية ، مثل الراديو ، والتلفاز والصحف ، وهناك حاجة إلى منشورات إسلامية باللغة الإنجليزية واللغات المحلية .

ويمكن أن تقوم الدعوة الإسلامية من خلال تقديم الخدمات الصحية ، وحفر الآبار ، وغير ذلك على نمط ما يقدمه التبشير النصراني ، وفي أوقات الجفاف يمكن تقديم الإغاثة اللازمة ، وأيضاً يمكن أن تقدم مساعدات للمزارعين في شكل البذور الحبوب الزراعية المختلفة ، والسماد ، والآلات الزراعية وغير ذلك .

4- وهناك حاجة للمنح الدراسية في الخارج في جميع المجالات ، والحكومة لا مانع لديها بهذا الخصوص .

5- أما فيما يختص بتسجيل المنظمة في زيمبابوي فيستحسن أن تسجل باعتبارها محلية حتى تستثنى من الضرائب ، وهذا يساعد أيضاً حين يطلب إقامة لأي أجنبي يرغب العمل في المنظمة ، حيث تشترط الحكومة لأي أجنبي يريد العمل في زيمبابوي أن يتوظف لدى منظمة أو شركة محلية ، حيث إن هذه المنظمة أو الشركة تقوم مقام الكفيل .

المسلمون والعالم

الأقليات الإسلامية
قضية العصر

د . محمد يحيى

في وقتنا الراهن لا يستطيع المسلم أن يهرب من أنباء الاضطهاد والملاحقة بل والمذابح التي تتعرض لها الأقليات الإسلامية سواء أكانت صغيرة الحجم أم كبيرة في شتى أنحاء العالم فمن » البوسنة « إلى » كوسوفو « إلى » اليونان « إلى بلاد » الأباظة « وإقليم » أوستيا « و » الإنجوش « و » طاجيكستان « و » كشمير « و » الفلبين « و » تايلاند « إلى » أثيوبيا « و » الكاميرون « و » جنوب إفريقيا « ، ومنذ سنوات وسنوات كان الحديث عن قبرص وإريتيريا وزنجبار وبورما التي عاد الحديث عنها كما عاد عن الجمهوريات السوفيتية الآسيوية السابقة ، كما كان على امتداد سبعين عاماً ، ومازال الحديث متصلاً عما أقل إثارة للانتباه كنقص الدعاة والمساجد والفقر والجهل بتعاليم الدين والتفكك والبعد عن سائر مسلمي العالم .

المعنى المطلوب لمفهوم الأقليات :

باختصار فإن ملف قضية الأقليات الإسلامية هو ملف مؤلم يبعث على الحسرة وينفر القلم من الاقتراب منه ، وأذكر أن أحد رؤساء التحرير لمجلة إسلامية طلب مني منذ سنوات أن أكتب باباً ثابتاً في مجلته عن الأقليات المسلمة أتابع أحوالها وأعرف الناس بها وبمشاكلها فكان ردي عليه بعد أن تناولت مشكلة نقص المعلومات وصعوبة الحصول عليها هو أن هذه القضية لا يمكن لأي شخص أن يتناولها دون الحديث عن موضوع واحد متكرر لا يكاد يتغير ألا وهو الذبح والتقتيل مما يؤدي بعد فترة إلى تعود القراء عليه بحيث ينحصر مجال الأقليات الإسلامية عندهم في مجرد مقابلة روتينية باردة لآخر إحصاءات القتلى والمعذبين من المسلمين بجانب

إحصاءات الخسائر المادية في صفوفهم .
وأخشى أن قضية الأقليات الإسلامية قد تحولت عند المسلمين أو في إعلامهم على تواضعه وضعفه إلى ما كنت أتصوره منذ سنين طويلة فلا توجد في الصورة الآن سوى إحصاءات القتلى والخسائر على كل الجبهات والأصعدة توضع أمام الناس وسط افتقار كبير إلى المعلومات الأخرى ووسط بعض التعبيرات الحزينة والاقتراحات المعممة لحل الأزمة ولا شيء غير ذلك مما يؤدي في الحقيقة إلى قتل القضية وفض الاهتمام بها تماماً ، والغريب أننا في دنيا الأرقام هذه نعتمد في إحصاءاالقتلى والخسائر على المصادر الأجنبية في المقام الأكبر وليس على مصادرنا إلا فيما ندر .

الإحصائيات الأجنبية مشبوهة :

والطريف أن الرجوع إلى هذه المصادر الأجنبية نفسها رغم تحيزها الواضح يكشف عن حقائق قد تبدو غريبة حتى بالنسبة لمن كانوا يظنون أنفسهم من المطلعين ، فمنذ فترة قريبة تصادف أن وقع في يدي كتاب الأحصاء السنوى الصادر عن مكتب الإحصاء الألماني لعام 1991 وفيه باب عن توزيع السكان في شتى دول العالم وفق الديانة ، ووجدت في هذا الكتاب أرقاماً عن المسلمين في أوروبا فإذا بهم وفق مصادر هذا الكتاب يبلغون 12% من سكان الاتحاد السوفيتي السابق و4 . 10% من سكان ما كان يعرف بيوغوسلافيا و3% من سكان فرنسا و7 . 2% من سكان ألمانيا و4 . 1% من سكان بريطانيا وإيرلندا وتصورت أنه نتيجة لتحيز التقرير (الذي يقول : إن هذه هي الأرقام كما كانت عام 1989) فلابد أن تكون النسب السكانية للمسلمين أعلى من ذلك بكثير على الأقل في الاتحاد السوفيتي والاتحاد اليوغسلافي السابقين ، أما عن إفريقيا فقد أورد الكتاب مثلاً أن المسلمين يشكلون 8 . 42% من سكان بوركينا فاسو مقابل 1 ، 12% من المسيحين ، فمن كان يظن أن بوركينا فاسوا بلداً إسلامياً هذا إن عرف سكانها على خريطة إفريقيا الغربية ؟ والمسلمون في سيراليون 5 . 38% من عدد السكان وهم أكبر مجموعة دينية فمن كان يتصور أو يعرف أن سيراليون بلد إسلامي ؟ وهم في السنغال 9 . 93% من عدد السكان أي أكثر من نسبتهم في بعض البلاد الإسلامية المشهورة ومع ذلك فلا تطالعنا السنغال في الإعلام الدولي إلا بوجه مسيحي ، يوحى بأنها بلد لا وجود للمسلمين فيه إلا قلة هامشية ، والمسلمون في بلاد إفريقية أخرى في هذا التقرير غير الموثوق تماماً يشكلون أقليات أكبر مما قد يظن المرء فهم في موزمبيق 13% من عدد السكان وفي رواندا 9% وفي مالاوي 2 . 17% وفي غانا 7 . 15 % هذا عدا البلدان التي يشكلون فيها الأغلبية .

وبصرف النظر عن مصداقية هذه الإحصاءات (وهي ليست فوق مستوى الشبهات لإنها مثلاً تورد أن عدد المسلمين في السعودية يبلغ 93% من السكان وهو كذب مضحك) ، فإنها تدل على شيء واحد يحكم العلاقة مع قضية الأقليات المسلمة ألا وهو الافتقار المخجل إلى المعلومات الأساسية من مصادر موثوقة رغم أننا نعيش في عصر يكثر الحديث فيه عن ثورة المعلومات وثورة الاتصالات ، ونلمس فيه نقداً للدول الإسلامية في مجال استهلاك أدوات الاتصال والإعلام على الأقل من الناحية التقنية البحتة ، إن عدم وضوح الصورة يشكل الجانب الأهم من قضية الأقليات لكنه مجرد البداية ، فعلى فرض توافر المعلومات الدقيقة والمفصلة والموثوقة هل يمكن أن تتغير الصورة أو يتغير وضع الأقليات تتحول قضية الأقليات عن أن تكون مجرد قضية إحصاءات بأعداد القتلى والخسائر ؟ لا أظن ذلك، بل إن الجهل وعدم توفر المعرفة بأحوال الأقليات قد يكون أحياناً السلاح الذي تستخدمه بعض الجهات والدوائر العلمانية صاحبة النفوذ في كثير من البلدان

الإسلامية كي تحجب الحقائق عن جماهير المسلمين ، وتقضي بذلك على تعاطفهم مع الأقليات الإسلامية ، ومن ثم تلاشي الوعي والإحساس بوجود أمة إسلامية واحدة يرجى الترابط والتعاضد بين مكوناتها .

مشكلات الأقليات :

قد يكون الجهل بأحوال الأقليات بل حتى بأعدادها هو المشكلة الأولى التي تواجه المسلمين حيال هذه القضية إلا أن هذه المشكلة تهون بجانب المشاكل الأخرى المتصلة بموضوع الأقليات المسلمة ، ولعل أوضح هذه المشاكل هي كيفية توصيف الأقليات ، فهل المسلمون في كشمير أقلية أم أنهم أصحاب البلاد الذين يرزحون تحت الاحتلال الهندوسي ؟ وهل هم في الجمهوريات الآسيوية السابقة من الاتحاد السوفيتي أقليات أم أصحاب البلاد الحقيقيين وهم الأغلبية فيها الذين تآكلت أغلبيتهم إما عن طريق تهجير الروس إلى بلادهم أو عن طريق استلاب أبنائهم بنشر الشيوعية والإلحاد ؟

ويقال نفس الشيء في بلدان إفريقية كثيرة تقلصت فيها أعداد المسلمين (دون أن يتحولوا إلى أقلية بالمعنى الدقيق) من جراء عمليات التنصير العارمة أو إبعادهم إلى هامش الحياة على يد الاستعمار ، وهنا ينبغي أن نشير كذلك إلى مسألة حجم الأقليات ، فالحديث عن الأقليات الإسلامية بوضعها كلها في سلة واحدة لمجرد أنهم يوجدون داخل حدود سياسية لا يشكلون فيها أغلبية عددية يتجاهل حقيقة أن هؤلاء أقليات كبيرة العدد بحيث لا يجوز أن يطبق عليها مفهوم الأقلية .

كذلك فإن هناك أقليات إسلامية تعيش وسط أغلبية غير مسلمة كبيرة إلى حد أن هذه الأقليات كما في أمريكا أو الصين أو بعض بلاد أوروبا تفوق أعدادها أعداد المسلمين في بلدان يعتبرون فيها من الأغلبيات إلا أن عدد السكان فيها لا يتجاوز ملايين قليلة ، لكن النسبة العددية للمسلمين في تلك البلدان كبيرة العدد تجعل منهم » أقلية « وفقاً للمصطلح العددي ، ومما لا شك فيه أن هذه الأقليات كبيرة الحجم يمكن أن يكون لها بالتنظيم والنشاط والتماسك دور فاعل في نشر الإسلام في محيطها أو على الأقل في الحفاظ على عقيدتها والتفاعل الإيجابي مع الأمة الإسلامية لخدمة مصالحها كما هو حال الجاليات اليهودية في أمريكا ودول غرب وشرق أوروبا .

والحق أن مجرد إطلاق لفظ الأقليات على المجتمعات الإسلامية المقيمة في بلدان خارج ما اصطلح عليه أنه يمثل القلب الإسلامي أو ديار الإسلام يوجد فوضى وظلم كبير ، فهناك مجتمعات مسلمة كما أشرت في الفقرة السابقة كانت توجد في ديارها آمنة كما في مناطق غرب أفريقيا والبلقان ثم فرضت عليها تجمعات سكانية أخرى بفعل التنصير أو التهجير أو تغلب القوى السياسية غير الإسلامية المحلية أو الاستعمارية بحيث أن تسمية » الأقلية « تغمطها حقها وتطمس الواقع التاريخي لتشير إلى مجرد حاضر مؤلم ، بل وتجمع هذه التسمية بين هذه التجمعات ومجتمعات إسلامية أخرى نشأت في فترات قريبة في بلدان كبلدان المهجر في الأمريكتين وأستراليا ، غير أن الخطورة الحقيقية في مصطلح » الأقليات « تكمن في جانب آخر .

إن استعمال هذه التسمية يشير إلى تجمعات سكانية محدودة العدد وبالتالي محدودة التأثير لكونها بعيدة فعلياً (جغرافياً) من القلب أو المركز ، ومن ثم تكون بعيدة عن هذا المركز من ناحية الشعوب والترابط مما يجعل الاهتمام بها في أحسن الأحوال أمراً ثانوياً ، وهذه التسمية تشير إلى تجمعات سكانية تقيم منعزلة ومندمجة داخل دول إقليمية ذات حدود ثابتة وراسخة ومحاصرة داخل بيئات ثقافية ودينية مغايرة ، كما تشير التسمية إلى أن هذه الأقليات قد تحدد وضعها إلى الأبد داخل هذا النطاق أي داخل نطاق غير إسلامي ، وعلى هامش اهتمامات الأمة الإسلامية بحيث

أن أقصى ما ينتظر من علاقة بين المركز الإسلامي أو القلب الإسلامي وهذه الأقليات هي علاقة التفقد بين وقت وآخر والإمداد ببعض المواد التعليمية والتدخل اللفظي في الحالات القصوى لمحاولة إنقاذ هذه الأقليات مما تتعرض له دون أن يؤدي ذلك أبداً إلى إفساد العلاقات مع القوى والبلدان والقوميات غير الإسلامية التي تعيش الأقليات المسلمة داخل نطاق نفوذها .

الأقليات بين المسلمين والنصارى :

ومن الجلي أن هذا التكييف لقضية الأقليات الإسلامية وهو التكييف الذي يشير إليه المصطلح يتناقض تماماً مع الوضع داخل النصرانية العالمية فمن الصحيح أن عبارة الأقليات النصرانية قد تستخدم أحياناً لكنها تستخدم فقط على المستوى الإعلامي والدارج دون أن يكون بها ارتباطات شعورية أو معنوية كتلك المشار إليها في الفقرة السابقة ، أما الوضع الطبيعي فهو أن ينظر إلى النصارى في كل مكان ليس على أنهم أقليات منعزلة هنا وهناك وسط بيئات غير نصرانية وإنما كأفراد وأعضاء في ديانة وأمة دولية الطابع لها مؤسساتها الدولية (العابرة للقارات والحدود الإقليمية) وهي الكنائس الكبرى ومجالسها العالمية ومنظماتها التي لا تكاد تحصى ، وهي هيئات مسؤولة عن رعاية وتفقد جميع النصارى في كل مكان دون تفرقة بين أغلبيات وأقليات في النظرة أو الشعور أو مدى الرعاية أو مدى تقدير الاحتياجات ، وينطبق نفس الشيء على اليهود والبوذيين والهندوس حتى الآن ، فضلاً عن النحل الصغيرة المارقة مثل القاديانية والبهائية وغيرها .

الخلل في مفهوم الأقليات الإسلامية حالياً :

إذن النظرة أو الطريقة التي تطرح بها مسألة الأقليات الإسلامية تعاني من الخلل منذ بدايتها لمجرد الإيحاءات والمعاني التي تحيط بمصطلح الأقليات ذاته لأنها تحدد طبيعة الأقليات كما قلت كتجمعات محدودة العدد ومحدودة الأهمية تقع منعزلة عن القلب أو المركز داخل بيئات غير إسلامية تحاصرها وتبعدها عن القلب الذي لا يستطيع بدوره أن يكون علاقة معها تتداخل أو تؤثر بأي حال على علاقاته مع تلك القوى غير الإسلامية ، ولذلك تبقى علاقة المركز مع الأقليات علاقة هامشية وهشة تبرز من خلالها كل إيحاءات العزلة والقلة وعن الأهمية التي ينطوي عليها مصطلح « الأقلية » كما تكاد تقتصر على مجرد التدخل اللفظي من وقت لآخر وإحياء الروابط المعنوية المجردة ، هذا الطرح الخاطئ منذ البداية بحكم التركيز على مصطلح « الأقلية » بإيحاءاته يختلف عن طروحات نصرانية ويهودية تبدأ من منطلق الأمة الواحدة ، وليس من منطلق القسمة بين أكثريات وأقليات تتحدد فقط على معيار عددي مشكوك في دقته على أفضل الأحوال ، وألاحظ هنا أن المعيار العددي للبحث في حساب الأقليات يغفل جوانب أخرى أكثر أهمية في مسألة الأقلية وأبرزها الفاعلية والتأثير الذي يمكن للأقلية أن تمارسه داخل المجتمع الذي تعيش فيه بفضل حسن تنظيمها ، وتماسكها ، وتركز عناصر القوة المادية والإعلامية والاقتصادية والسياسية ... الخ ، ومرة أخرى فإن مثال الأقلية اليهودية في أمريكا والأقليات النصرانية في بعض البلدان الإسلامية أو الأقلية الصينية في ماليزيا يؤكد هذا الرأي .

والواقع أن هذا الخلل في تصور قضية الأقليات المسلمة منذ البداية يعكس خللاً في القلب أو المركز الإسلامي نفسه الذي يبدو أنه من خلال الطرح لمسألة الأقليات على هذا الوجه القاصر يسعى إلى تفادي أو تجنب مواجهة الأزمة داخله أو أن هذا الطرح في حد ذاته تعبير عن الأزمة ذاتها .

المقصود بالقلب والمركز :

إن ما أقصده هنا بالقلب أو المركز الإسلامي وهو ما يشير إليه بعضهم بالعالم

العربي وبعض البلدان المجاورة كإيران وتركيا والذي يعاني من مشكلات التفتت والانقسام والخلافات واشتعال الحروب على الهوية بين الجماهير المسلمة ونخب وفئات علمانية فرضتها عهود الاستعمار والتبعية في هذه المناطق .

إن هذا القلب لا يكاد يستحق لقب المركز أو القلب نتيجة للمشكلات المتعددة التي يعاني منها ، وليس هنا مجال التعمق في ذكرها بحيث أن طرح قضية الأقليات بشكل هامشي منعزل ، من شأنه أن يخفف أعباء هذا المركز عما إذا طرحت هذه القضية باعتبارها قضية أساسية من قضايا الأمة الإسلامية الواحدة ذلك لأن هذه الوحدة في حد ذاتها بل هذا الوجود لأمة إسلامية هو الآن في بعض الدوائر موضع تساؤل وشك في ظل فكر التجزئة الإقليمية القومية العرقية أو في ظل فكرة العلمانية.

إننا لا نجافي الحقيقة ولا نتجنى إذا قلنا : إن المركز لم يعد مركزاً أو قلباً بالمعنى الدقيق أو بالمعنى التاريخي أيام الدول الإسلامية الكبرى حتى السلطنة العثمانية أو الخلافة العثمانية ، وهذا المركز لم يعد قادراً لاعتبارات عديدة على أن يقوم بأعباء قضية الأقليات لو طرحت على نطاق واسع باعتبارها قضية مجتمعات إسلامية تعاني من ظروف مشددة وضغوط ويطلب الاهتمام بها كالاهتمام بالمركز .

إن المركز لم يعد مركزاً بالمعنى الدقيق لافتقاده إلى السلطة المركزية ذات الطابع الدولي والمسؤوليات العابرة للقارات كالهيئات النصرانية واليهودية بل والشيوعية (سابقاً) والليبرالية الدولية ، ومن دواعي الأسف أن المنظمات الإسلامية الدولية لم تكن بأي حال البديل الناجح المكافئ لهذه المؤسسات الدولية الأجنبية ولم تمثل البديل المطلوب للسلطة السياسية المركزية المعبرة عن وجود الأمة الإسلامية الواحدة ، ولأن المركز أو القلب من العالم الإسلامي لم يعد قادراًعلى أداء دور كبير على الساحة الدولية ، فإن ذلك انعكس سلباً وبالضرر الشديد على قضية الأقليات حتى مع الطرح المتواضع لها باعتبارها مجرد قضية تعاطف شعوري مجرد ، وعلى هذا تزداد قضيةالأقليات المسلمة صعوبة وتعقيداً إزاء هذا الضعف في المركز الذي يقيد إلى حد كبير من إمكانية القيام بتحرك فعال لحل مشاكل الأقليات رغم وجود التوصيات والحلول النظرية الكثيرة لهذه المشاكل .

القضية إذن متشابكة الأطراف وهي إن كانت قضية الأقليات إلا أنها أيضاً وبنفس القدر قضية الأغلبيات المسلمة التي أصبحت في بعض الأحوال وكما تدل على ذلك شواهد الماضي القريب والحاضر المعاصر تعاني من مشكلات حادة لا تختلف عن مشكلات الأقليات وذلك في ظل حكم الأقليات والفئات العلمانية ، إن الاضطهاد بل حتى والمذابح أصبحت واحدة في كلا الحالتين كما إن الحلول التي تطلبها الأقليات وأبسطها حق العبادة وأداء الشعائر وتعليم الأبناء الدين الإسلامي أصبحت هي الحلول التي تطلبها بعض الأغلبيات الإسلامية التي تحكمها طغم علمانية لا سيما إذا كانت من العسكر ، وإزاء هذا الوضع فإن انتظار الحل لمشكلات ومحن وأوضاع الأقليات من المركز أو القلب الإسلامي يصبح أمراً مشكوكاً فيه إن لم يكن بعيد المنال ، ولا يعني هذا بالطبع أن يتأجل طرح أو حل مشكلات الأقليات إلى حين إصلاح أوضاع المركز الإسلامي حتى يصبح قادراً على التعامل معها ، وإنما يعنى تقديم طرح أكثر نضجاً ووعياً لهذه القضية[*] .

وفي تقديري أن هذا الطرح الأقرب للصدق والأفضل هو الكف عن معاملة المسألة من المنظور الضيق الذي تنطوي عليه كلمة » الأقليات « لابد من النظر إلى المجتمعات الإسلامية في شتى بلدان العالم من منطلق مفهوم الأمة الواحدة ذات المهمة الربانية الجسيمة مع استناد هذه الرؤية إلى معرفة ومعلومات دقيقة وموضوعية ، ولا يعني هذا اتباع سياسة مواجهة مشددة مع العالم غير الإسلامي قد لا تكون الأمة مستعدة لها في الوقت الراهن ، وإنما يعني معاملة الأقليات باعتبارها

أجزاء عضوية من الأمة لا مجموعات منعزلة هامشية تقع خارج نطاق الأمة .
إن هذه المجتمعات قد تكون خارج ما تعودنا على أنه النطاق الجغرافي للأمة الإسلامية (وإن كان هذا القول غير صحيح تماماً) لكنها يجب أن تكون في موقع القلب من الأمة أو داخل نطاقها المعنوي والفكري وهمها الحضاري ، كما إن المركز الإسلامي لابد أن يعدل نظرته إلى الأقليات ولكن قبلها عليه أن يعدل نظرته إلى نفسه وإلى أوضاعه .

(*) ومما يجدر ذكره أن (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) قد عقدت ندوة دولية للاهتمام بأحوال الأقليات الإسلامية ، وصدر عن هذه الندوة دراسة جيدة وموثقة عن أحوال الأقليات المسلمة في العالم، وذلك في ثلاثة أجزاء ، كما سبق لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أن عقدت ندوة مماثلة صدر عنها مجلد ضخم حول الموضوع نفسه وكتب بعض المهتمين بدراسة الأقليات دراسات لا بأس بها ، ويأتي في مقدمتها دراسة د سيد عبدالمجيد بكر في عدة أجزاء البيان .

في دائرة الضوء

لم لا نفكر .. ؟!

دعوة إلى المزيد من المنهجية
بعيداً عن الرتابة والتقليد

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

(1)

إن طرق المعرفة البشرية أياً كان نوعها متعددة ، وهذه الطرق تؤثر غالباً على صحة المعلومة أو بطلانها ، وبقدر ما تنضبط هذه الطرق بالمنهج العلمي يكون القرب من صحة المعلومة ودقتها ، والقدرة على التفكير الصحيح هي الطريق الأمثل للنمو والنضج ، فالفكر هو حياة الإنسان وبه يتميز عن بقية الكائنات ، وهو: » الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة « [1] .

ومن أخطر العوامل المؤثرة سلباً على طريقة التفكير والتحليل بناء المعارف العلمية على العادة والأعراف التي ينشأ عليها الإنسان ، فهو يعتقد صحة المسألة لكثرة تكرارها وتداولها في بيئته التي نشأ فيها ، فهي معارف مبنية على التقليد والاقتباس وليس على التفكير والتدبر ، فهو لا يستطيع أن يتجاوز الموروث الاجتماعي أو الفكري .

وبعض الموروثات الاجتماعية أو الفكرية أو الدعوية قد تكون صحيحة لا غبار عليها ، لكنها تكتسب صحتها عند قوم لأن الدليل الشرعي قد دل عليها وعند آخرين لأنها موروثات ألفوها وأخذوها عن آبائهم وأشياخهم ، وشتان بين المنهجين!

وكثيراً ما نعتقد صحة فكرة ما من الأفكار وتصبح لدينا مسلمة من المسلمات لا تقبل المناقشة ، حتى إذا خرجنا إلى بيئة أخرى واطلعنا على معارف جديدة ، واكتسبنا خبرات إضافية ، تبين لنا بطلان ما كنا نؤمن به ، وقديماً كان يقال : » لا يعرف الإنسان خطأ شيخه حتى يجلس عند شيوخ آخرين « .

إن الشعور بالسلامة المطلقة للبيئة التي يعيش فيها الإنسان ، واعتقاد ه بكمالها وخلوها من الأمراض ، يقوده إلى التبعية وحبس العقل عن التدبر والتأمل ، وسوف يؤدي ذلك إلى الضمور والتآكل ، وأما الإحساس بضرورة النمو والتحسين وليس بالضرورة الخطأ فإنه يقوده إلى الإبداع والتجديد وتطوير الطاقات ، فالتفكير المبدع هو الذي يحول الركود والرتابة والتلقائية إلى حركة حية منتجة تتطلع دائماً إلى المزيد ، وكما قال الفضل : » التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك « [2] ، وقال

ابن القيم : » التفكر والتذكر بذار العلم ، وسقيه مطارحته ، ومذاكرته تلقيحه « [3].

إن التفكير الصحيح وسيلة من وسائل الانعتاق من آسار العادة والاتكال على تفكير الآخرين ، وكسر لطوق الرتابة والاجترار الذي يتربى عليه الناس كابراً عن كابر ، ولهذا تضمنت دعوات الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام دعوة للتفكر والنظر ، والتخلص من إرث الآباء والأجداد ، قال الله تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) [سبأ : 46] .

والتأثر بالعادة أو البيئة له أشكال متعددة ، منها التأثر بالبيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها المرء ، أو التأثر بالتجمع الحزبي الذي ينتمي إليه .. ونحو ذلك .

أذكر أنني قبل سنوات كنت في زيارة لأحد الإخوة الدارسين في بريطانيا فرأيته يساهم في توزيع بيان لتأييد الثورة الإيرانية ، فقلت له : هل أنت مؤمن بما جاء في هذا البيان ؟ ! فقال : لا ، ولكن .. ! فقلت : ولكن بهذا أمرت .. فاحمر وجهه خجلاً ، وسكت .. !!

تعجبتُ كثيراً من هذا الموقف ، وعلمت أن التربية الحزبية أفضل طريقة لوأد العقول وإماتة البصائر ، هذه التربية التي تبنى على ضرورة التسليم والانقياد ، دون النظر والتفكير ، ومن قلد عالماً لقي الله سالماً ، ومثل هذا الموقف له نصيب وافر من قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : » من نصر قومه على غير الحق ، فهو كالبعير الذي ردي ، فهو ينزع بذنبه « [4] .

لقد نجحت التربية الحزبية في صناعة الببغاوات والقطعان الهائمة التي لا تجيد إلا فن التصفيق والإشادة واجترار الشعارات ، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في بناء العقول الحية المبصرة ، القادرة على بناء المواقف وصناعة الأحداث وأخزى الله التبعية العمياء الصماء كم قتلت من الطاقات ، وسحقت من الشخصيات .. ! !

(2)

ومن العوامل المؤثرة أيضاً على طريقة التفكير أن معرفتنا للحق تتأثر بأقوال الرجال وشهرتهم ، فنحن نحاكي الرجال في أقوالهم واعتقاداتهم لمجرد إمامتهم وشهرتهم ، حتى إن عقل الإنسان ينغلق ويصبح وقفاً على ذلك الشيخ حتى لا يرى حقاً إلا ما جاء عن إمامه الذي آمن بقدراته وإمكاناته ، فهو يقبل ويرفض ، ويصدق ويكذب ، ويأخذ ويعطي ، بناء على قول الشيخ وتوجيهه بدون النظر إلى الحجة أو البرهان ، وبدون أن يكون له حظ من التعقل أو التفكير وما مثل هذا الإنسان إلا : » كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه وهو لا يدري « [5] .

ومن طرائف المقلدة ما نقله الماوردي حيث قال : » ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل ، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان جوابه عنها أن قال : إن هذه دلالة فاسدة ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها ، وما لم يذكره الشيخ لا خير فيه ! فأمسك عنه المستدل متعجباً ! ! « [6] .

وشدة إعجابنا بإمام من الأئمة تجعلنا في بعض الأحيان نتحرج من سؤاله عن الحجة هذا إذا فكرنا في السؤال ! وأذكر في مناقشة لأطروحة علمية أن الباحث تبنى مسألة واستدل لها بقول لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فسأله الأستاذ المناقش : وما حجة ابن تيمية ؟ ! فكأن الباحث ارتبك ولم يخطر بباله هذا السؤال ، ولم يفكر فيه على الإطلاق ؟!

قال محمد بن عبد الله بن الحكم : » ما رأت عيني قط مثل الشافعي ، لقد قدمت المدينة فرأيت أصحاب عبد الملك الماجشون يعلون بصاحبهم ، يقولون : صاحبنا الذي قطع الشافعي ، فقلت : إني لأحب أن أنظر إلى رجل قطع الشافعي ، قال : فلقيت عبد الملك ، فسألته عن مسألة ، فأجابني ، فقلت : أي شيء الحجة ؟ قال : لأن مالكاً قال كذا وكذا .. ! فقلت في نفسي : هيهات أسألك عن الحجة ،

فتقول : قال معلمي ، وإنما الحجة عليك وعلى معلمك ! » [7] .

ولهذا قال ابن تيمية : » معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال ، وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين للرسل ، بل هو جماع كل كفر « [8] .

وما أجمل قول أبي يوسف : » لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا « [9] .

(3)

إن الخطاب الإسلامي ليس خطاباً وعظياً مجرداً ، وإنما هو في أصله خطاب برهاني يعتمد على البيان التفصيلي الدقيق للحجج والبراهين ، وبخاصة في القضايا الكلية للاعتقاد ، فأساسه قول الله تعالى : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة : 111] ، وقوله تعالى : ﴿ ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴾ [الأحقاف : 4] .

وتتوالى النصوص الشرعية للتأكيد على ضرورة التعقل والتدبر والنظر في ملكوت السموات والأرض ، وتستحث العقل البشري على ضرورة البحث والمراجعة والتأمل ، وتنعى على المقلدة منهجهم ، وتذمهم على جمودهم وعجزهم وقصورهم ، قال الله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج : 46] .

ويأتي اليوم الذي يتحسر فيه أولئك القوم ويندمون على منهاجهم وطريقتهم ، قال الله تعالى : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : 10] ، وقال تعالى : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ [الأحزاب : 67] .

وحينما زعم بعض الفلاسفة أن الطريقة القرآنية طريقة خطابية ، رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة ، منها قوله : » وليس الأمر كما يتوهمه الجهال الضلال ، من الكفار المتفلسفة وبعض المتكلمة ، من كون القرآن جاء بالطريقة الخطابية ، وعري عن البرهانية أو اشتمل على قليل منها ، بل جميع ما اشتمل عليه القرآن هو الطريقة البرهانية ، وتكون تارة خطابية ، وتارة جدلية مع كونها برهانية .

والأقيسة التي اشتمل عليها القرآن هي الغاية في دعوة الخلق إلى الله ... ولهذا اشتمل القرآن على خلاصة الطرق الصحيحة التي توجد في كلام جميع العقلاء ، من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم ، ونزهه الله عما يوجد في كلامهم من الطرق الفاسدة ، ويوجد فيه من الطرق الصحيحة ما لا يوجد في كلام البشر بحال « [10] .

إن الصحوة الإسلامية بحاجة ماسة إلى العقول الناضجة المستنيرة القادرة على التفكير والإبداع ، وعلى المربي أن يستشعر أهمية ذلك فيحيي هذه الملكة في نفوس أتباعه ، فلأن يقود أسوداً متوثبة يقظة ، خير له وأنفع من أن يقود قطيعاً من الخرفان التي لا تعي ولا تدرك ، ولن يقوى المربي على ذلك إلا إذا كان أسداً ، فهل من أسود ؟!

تأمل حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما يقول على المنبر : » إذا أصبتُ فأعينوني ، وإذا أخطأت فقوموني « ، فقال له رجل من بين الناس : » إذا أخطأت قومناك بسيوفنا .. ! « ، عمر بن الخطاب لا يرضى بتعبيد الناس للناس ومصادرة عقولهم ، وتغييبهم عن الساحة ، بل يطالبهم بالمشاركة والناس لا يرضون بالتبعية والعجز ، وهكذا تبنى الأمم .

وأكاد أجزم بأن من الأسباب الرئيسة للتخلف الفكري والمنهجي الذي تمر به

الصحوة الإسلامية هو أننا جعلنا التفكير ورسم الخطط مهمة آحاد من الناس أما البقية فهم متفرجون ، لا يتجاوز دورهم تكثير السواد .. !

وإن تحرير العقول من العبودية للأحزاب ، ومن الذوبان في أقوال الشيوخ ، مطلب رئيس للنهوض بالعمل الإسلامي من الرتابة والاجترار والدوران حول الذات، ولعل من أبرز مقومات نجاح العمل الإسلامي أن تستحث تلك الطاقات الكامنة الخاملة ، إلى النظر والتأمل ، وفق الأسس والموازين الشرعية ، فلأن تفكر الأمة بمائة عقل خير لها وأنفع من أن تفكر بعقل واحد .. !!

---

(1) ابن القيم في مفتاح دار السعادة 1/181 .
(2) المرجع السابق 1/180 .
(3) المرجع نفسه 1/183 .
(4) أخرجه أبو داود 5/341 بسند صحيح .
(5) من كلام الشافعي نقله ابن القيم في إعلام الموقعين 2/200 .
(6) أدب الدنيا والدين ، ص 78 .
(7) مناقب الشافعي للبيهقي 1/208 .
(8) درء تعارض العقل والنقل 5/204 .
(9) إعلام الموقعين 2/200 .
(10) مجموع الفتاوى 2/4647 ، وانظر : 14/62 و437 .

من ثمار المنتدى

أنشطة المنتدى الإسلامي الصيفية

يحرص المنتدى الإسلامي ولله الحمد والشكر على ترشيد العمل الإسلامي وتنشيطه ، وذلك بنشر العلم الشرعي الصحيح في أوساط المسلمين بعامة ، وفي أوساط الدعاة في البلاد الإسلامية المختلفة بخاصة ، وقد كان الصيف الماضي حافلاً بالعديد من الأنشطة الدعوية والبرامج الميدانية المتعددة ، وهي كما يلي :

أولاً الملتقيات الدعوية :

1- الملتقى الدعوي السابع عشر في بريطانيا :

تم عقد هذا الملتقى في يومي 22 و 23 صفر 1415هـ في مدينة « ليستر» وقد شارك فيه ثلاثمائة شخص ، وكان العنوان الرئيس للملتقى : « نحو ترشيد أخلاقي للعمل الإسلامي » .

2- الملتقى الدعوي الثاني في غانا :

تم عقد هذا الملتقى في مدينة نياكروم لمدة ثمانية أيام من 12 إلى 20 ربيع الأول 1415هـ ، وقد شارك فيه مائة وواحد وستون داعية من « غانا ، وتوجو وبنين ، وبوركينا فاسو ، وساحل العاج ، والنيجر » ، كما شارك فيه اثنا عشر ضيفاً من الشيوخ والدعاة ، ومن أبرز المحاضرات التي ألقيت :

أ- ولا تفرقوا. ب- العلمانية وأثرها في العالم الإسلامي.
جـ- الإخلاص . د- السنن الإلهية.
هـ-الولاء والبراء. و- دعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

وقدمت وفود البلدان المشاركة بحوثاً وندوات متعددة منها :
أ- الفرق المنتمية إلى الإسلام وأنشطتها القائمة حالياً .
ب- تاريخ الدعوة الإسلامية السلفية في كل دولة .

3- الملتقى الدعوي الثاني في كينيا :

تم عقد الملتقى في مدينة « ممباسا » لمدة عشرة أيام من 1 إلى 10 ربيع الأول 1415هـ ، شارك فيه مائة وخمسون داعية من « كينيا ، وتنزانيا ، وأوغندا

وجزر القُمُر ، والصومال ، وإثيوبيا » ، وقدم في هذا الملتقى عدد من الدروس العلمية والمحاضرات من إبرزها :
(أ) التكفير خطورته وضوابطه.
(ب) لا إله إلا الله مفتاح دعوة الرسل.
(ج) مصادر التشريع الإسلامي.
(د) مسائل في باب الأسماء والصفات.
(هـ)أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم.
كما قام الشيوخ بزيارة مساجد المنطقة ومراكز الدعوة والمدارس الإسلامية وألقوا فيها عدداً من المحاضرات والكلمات التوجيهية .

4- الملتقى الدعوي الأول في السنغال :

تم عقد الملتقى في ضاحية من ضواحي العاصمة « داكار » لمدة عشرة أيام من 28 صفر إلى 8 ربيع الأول 1415 هـ ، وكان عدد المشاركين 120 داعية من : « السنغال ، ومالي ، وموريتانيا ، وجامبيا ، وغينيا بيساو ، وغينيا كوناكري » ومن أبرز المحاضرات التي ألقيت في هذا الملتقى :
(أ) المخرج من الفتنة في مسيرة العمل الإسلامي .
(ب) معالم الرشد في الدعوة إلى الله .
(ج) افتقار العمل الإسلامي إلى الضوابط الشرعية .
(د) أدب الاختلاف بين الدعاة .
كما قام الشيوخ بزيارة لعدد من مساجد المنطقة والجمعيات والمراكز الإسلامية فيها .

ثانياً الدورات الشرعية :

1- الدورة الشرعية السابعة للدعاة في بريطانيا :

تم عقد الدورة في مبنى المنتدى الإسلامي بلندن لمدة أسبوعين من 24 صفر إلى 5 ربيع الأول ، وشارك فيها 89 داعية قدموا من : فرنسا ، وهولندا والسويد ، و27 منهم قدموا من إنجلترا .

2- دورة شرعية لإعداد الدعاة في الصومال :

تم عقد الدورة في مدينة « بورعو « في شمال الصومال لمدة عشرة أيام من 6 إلى 16 ربيع الأول ، وشارك فيها تسعون داعية من مختلف أنحاء الصومال وقدم في هذه الدورة أربعون درساً ، بالإضافة إلى عدد من المحاضرات والأنشطة الأخرى .

3- دورة شرعية لإعداد الأئمة والدعاة في أوغندا :

تم عقد الدورة في مدينة « امبالي » لمدة عشرة أيام من 15 إلى 24 صفر 1415 هـ ، وشارك فيها اثنان وثمانون إماماً ، وتهدف هذه الدورة إلى التأهيل الشرعي لدى الأئمة والخطباء وتزويدهم بالعلوم الفقهية والدعوية التي يحتاجون إليها لإحياء رسالة المسجد .

4- دورة شرعية لإعداد الدعاة في بنجلاديش :

تم عقد الدورة في مدينة « دكا » لمدة أربعة عشر يوماً من 29 صفر إلى 11 ربيع الأول 1415 هـ ، وشارك فيها خمسون دارساً ، وقد سبق هذه الدورة دورة مكثفة لمدة ثلاثة أشهر شارك فيها خمسة وعشرون دارساً .

5- دورة شرعية لإعداد الدعاة في نيجيريا (لاجوس) :

تم عقد الدورة لمدة ثلاثة أسابيع من 24 ربيع الأول إلى 14 ربيع الثاني وشارك فيها مائتان وخمسون طالباً .

6- دورة شرعية لإعداد الدعاة في نيجيريا (كانو) :
تم عقد الدورة لمدة أسبوعين من 22 ربيع الأول إلى 7 ربيع الثاني ، وشارك فيها مائة وخمسون طالباً من خريجي الثانويات وطلاب الثانويات والمتوسطات .
7- دورة تعليمية لإعداد الدعاة في نيجيريا :
عقدت الدورة في مدينة « جيغا » بولاية « كيبي » لمدة أسبوعين من 6 إلى 21 ربيع الأول 1415 هـ ، وشارك فيها مائة وسبعة وخمسون من مدرسي المدارس الإسلامية وأئمة المساجد وطلبة العلم .
8- دورة في الإدارة وطرق التدريس في غانا :
تم عقد الدورة في غانا لمدة أسبوع من 21 إلى 28 ربيع الأول 1415 هـ ، وشارك فيها مائة مشارك ، وألقيت فيها عدد من المحاضرات الإسلامية ، وتهدف الدورة إلى تنظيم وترشيد العمل التعليمي الإسلامي .

ثالثاً المخيمات الشبابية :

يحرص المنتدى الإسلامي على إقامة المخيمات الشبابية والطلابية لدورها الكبير في إيجاد المحاضن التربوية التي تربي الشباب وتنشر الوعي الإسلامي في صفوفهم ، وكان من أبرز المخيمات التي عقدت خلال الصيف الماضي ما يلي :
1- المخيم الشبابي الثالث في كينيا :
عقد المخيم في منطقة « لامو » لمدة أسبوع من 15 إلى 21 ربيع الأول 1415هـ ، وشارك فيه خمسة وسبعون طالباً وقدم فيه خمسة وثلاثون درساً وثمانية وعشرون محاضرة في أبواب متنوعة في العلوم الشرعية والدعوية والتربوية .
2- المخيم الشبابي الأول في مدينة كاي بدولة مالي :
عقد المخيم لمدة أسبوع من 28 ربيع الأول إلى 5 ربيع الآخر ، وشارك فيه خمسة وثمانون طالباً وقدمت فيه خمسة عشرة محاضرة .
3- المخيم الشبابي الأول في مدينة سان بدولة مالي :
عقد المخيم لمدة أسبوع من 18 إلى 24 ربيع الأول ، وشارك فيه مائة وعشرون طالباً ، وقدمت فيه أربع عشرة محاضرة .
4- المخيم الشبابي الأول في جامبيا :
عقد المخيم في مدينة « بانجول » لمدة خمسة أيام وشارك فيه مائة داعية .
5- مخيم شبابي في إثوبيا :
تم تنفيذ المخيم بمدينة « أديس أبابا » في الفترة من 29 ربيع الأول إلى 7 ربيع الثاني 1415 هـ بالتنسيق مع « جمعية القرآن الكريم » ، وحضره مائة وعشرون طالباً .

رابعاً مسابقات تحفيظ القرآن الكريم :

يشرف المنتدى الإسلامي على عدد كبير جداً من حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وقد عقد عدد من مسابقات تحفيظ القرآن الكريم ، وهي :
1- مسابقة تحفيظ القرآن الكريم الثانية في دولة غانا .
2- مسابقة تحفيظ القرآن الكريم الأولى في دولة بنين .
3- مسابقة تحفيظ القرآن الكريم الأولى في دولة توجو .
4- المسابقة الكبرى لتحفيظ القرآن الكريم بين طلاب « غانا وبنين وتوجو ».
وقد كان لهذه المسابقات بفضل الله تعالى دور بارز في إعلاء الهمم وحث الناس على الاعتناء بكتاب الله تعالى تلاوة وحفظاً وعلماً وعملاً .
تلك بعض من ثمرات دعمكم وتشجيعكم لنا ، نسأل الله عز وجل أن يبارك في

هذه الجهود وأن يوفقنا لفعل الصالحات ، وأن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى .

الورقة الأخيرة

لنحذرهم .. بعضُهم من بعض

د . محمد ظافر الشهري

لايزال المنافقون يتوارثون راية « ابن أبي » جيلاً بعد جيل ، تلك الراية التي تعلو كلما قوي المسلمون ، فإذا دب الضعف في جسد الأمة وتسابقت إليها الأدواء ، وتواثبت عليها الأعداء ، نكست راية النفاق ورفعت راية المجاهرة .

وتلك ذاتها هي حال الشيوعي الذي لا يقبل من الناس إلا عقيدة « لا إله والكون مادة » ، فمن كفر بها فضرب الأعناق ، ومن آمن بها كان من الرفاق فإذا شعر الشيوعي بالخطر ، ترضى عن أبي ذر رضي الله عنه وتحدث عن « اشتراكية في الإسلام !! » .

وهكذا يفعل « أفراخ اللادينية » الذين إذا أجدب بهم الزمان زاروا المساجد يوم الجمعة ، فإذا أخصبوا أصروا على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، وقالوا : من اصطحب إسلامه خارج المسجد فلا يلومن إلا نفسه !! .

وإنك لترى « الحداثي » يتحدث عن « اللامعقول » و « العبث » و « اللغة المفجرة » مادام يخشى أن تصيبه دائرة ، فإذا خلا له الجو طفق يسب الدين ويعلن الحرب على قيوم السماوات والأرضين .

إن المنافقين هم المنافقون مهما تباينت شعاراتهم وتعددت مشاربهم ، ولقد نبأنا الله من أخبارهم بما يكفي لهتك أستارهم وفضح أسرارهم ، إنهم « يخادعون الله وهو خادعهم » .

ولقائل أن يقول : فما بالهم إذن يخْفَون على الناس ؟ ! ولن أماري في أن من الناس من يهش بهم ويبش إليهم ، فأجسامهم تدعو إلى الإعجاب وأقلامهم تبز الألباب ، وقد « طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين » ﴿ وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين ﴾ [المطففين : 31] ، ولكن الحق الذي لا ريب فيه أن الأمة « بدأت » تميز عدوها من صديقها ، ولم تعد الشعارات البراقة والدعاوى الجوفاء تصلح لتلميع الشخوص أو الأطروحات ، وهذا ما أدركه المنافقون فأسقط في أيديهم ، واستيقنوا أن العلم في ازدهار ، وأن الجهل في تراجع وانحسار .

لقد كان المنافقون فيما مضى يوجهون سهامهم إلى العلماء وطلاب العلم ، أما اليوم فقد اتسع الخرق على « الراتق !! » ، ولا غرو والحال هذه أن تطيش سهام المنافقين وتحار أحلامهم ، ويغلب عليهم التشنج في أقوالهم وأفعالهم ، ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ [التوبة : 45] ، ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : 21] .

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين